الأدب الجديد

وكلمات في الشعر والشاعر

من تأليف وجمع

حسن صالح الجداوى
ليسانسيه في القانون ودبلوميه تجارة عليا

١٣٤٥ هـ . — ١٩٢٦ م .

الثمن ٣٠ مليما

المطبعة السلفية - بمصر

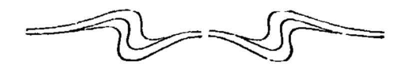
توطئة

اقترح عليّ بعض الاصدقاء من الادباء الغيورين على حرمة الأدب العصري أن أنشر هذا الكتيب جامعاً لمقدمتي لديوان **الشفق الباكي** ولمقال الدكتور أبي شادي عن « الشعر والشاعر » ثم لمقالي عن « هدم الادب وبنائه » وكلها مما صدرتُ به ذلك الديوان الكبير الشائق ، حتى تعم فائدة الاطلاع عليها ، وتكون مثاراً للنقد الادبي الشريف والدراسة الادبية المجدية

فتلبية لدعوتهم الكريمة أنشر اليوم هذه الرسالة آملاً أن تنتج النفع الادبي المرجو .

٧ اغسطس سنة ١٩٢٦

حسن صالح الجداوى



مُقَدِّمَةُ النَّاشِرْ

للطبعة الاولى

ما كنتُ أحسبُ أنَّ الظروف ستسمح لي مُسْعِدَةً بنشر هذا الأثر الأدبي النفيس ، ولكنَّ وفاءَ صديقي الشاعر أبي الا أن يترك نشرَه لي وإنْ تفرّقنا ، مُعْرِضاً عن كلّ اقتراح يحرمني منْ لذّة الاشتراك في إذاعة هذا الشّعر الكريم . وسواء أسمحتْ ظروفُ المستقبل أم لم تسمح بمتابعة هـذه الخدمة الخالصة لوجه الأدب ، فأحسبُ أنْ ما سلف لي من دراسةٍ وتحليلٍ لشعر أبي شادي ـ في مصنفات ودواوين سابقة ـ فيه الغُنْيَةُ الوافية للأديب الذي يريد أن ينهجَ نهجي في دراسة الشعر ، ويودّ أن يميّز بين الفني المطبوع والصانع الماهر ، فالأول يعيش اثرُهُ خالداً بعده لأنه الجوهر الصادق المطلوب في كلّ جيلٍ مهما تنوّعتْ المظاهر والبيئات ، والثاني انْ عاش اثرُهُ بعد عصره فانما يعيش كمثال تاريخيّ أو كنموذج من العاديّات لا أكثر . . . . وما دواوين شاعرنا النابغة الاّ سلسلة متصلة الحلقات متممةٌ قصائدها لوحدتها ، ومكملة

لنظرات الشاعر ولفلسفته وآرائه التي لا تُحَدُّ بقطع معيَّنة من نظمه فكلما ازددتَ قراءة له زادَ تقديرك له واعجابك به .

وأحسبُ انّ مابلغه الشاعرُ من شهرةٍ وتقدير ـ سمحا لبعض فطاحل ادبائنا ان ينظر لجليل معانيه ومراميه بل وينتحلها احياناً شغفاً بسموّها وصفائها وعذوبتها ـ مما يبرّر ايجازي في هذه المقدّمة ، ولو ايجازاً نسبياً ، مقتصراً على طائفة من الملاحظات والشروح التي قد تلذّ المعاصرين من الادباء كما قد يرضى عنها ابناء المستقبل .

سألتُ الاستاذَ اباشادي ذات مرة عن تفسيره لشغف العقل الانساني بالشعر ، فكان جوابهُ الفلسفي انّ الحياةَ الانسانية في نظره ـ وتطبيقاً لما كشفه العلمُ الحديث ـ ليست سوى نوع من أنواع الكهربائية ، وجوهرها التموّجات المنظمة الدقيقة ، وما الشعرُ في جوهره الا امواج منظمة معنى ومبنى ، فصلةُ الحنان بينه وبين العقل الانساني متينةٌ من هذه الوجهة . وما يُقال عن الشعر يُقال عن جميع الفنون الجميلة ، وعن كل مظهر للجمال تبدو فيه هذه التموجات ، او مظاهر الحياة والنظام ، او مشاهد القدرة والاستطاعة ، فالرابطةُ بينها وان استعصى تفسيرُها احيانًا ليست بالخفية اذا عمدنا الى طريقة التحليل والمقابلة والمقارنة . وما الشعر

إلاَّ صورة مُثْبَتةٌ من الحياة ، ولهذا نحنُّ اليها ونعجبُ بهـا ، وتهزُّنا هزاً ، وكلما ازداد وفرةً في الجمال وكان صافياً كان تأثيرُه أبلغ !

شاعرٌ هذه نظرتهُ للشعر ، وهذا تفسيرُه لنشأته ، قمينٌ أن تبلغ من وجدانك دعوتهُ اضعاف ما يبلغهُ شعرُ الصناعة والتقليد الذي لاينمّ عن عبقرية ولا عن الهام صادق . وقد قيل لي انّ المرانةَ الطويلةَ على القريض ينشأ عنها مركزٌ او شبهُ مركز في المخ يحنُّ دائماً الى العمل ، ويُسعفُ صاحبه بما يستمدُّهُ من تجاريب ونظرات كلما أراد النظمَ ، وسواء اصحّ هـذا الاستنتاجُ ام لم يصحَّ فالمشهودُ انّ الشاعرَ المطبوعَ فيّاضُ القريحة سواء اعتمد على حافظته او على قلمه السيَّال في تدوين الانغـام التي تتألف في ذهنه . وعندنا في صفات شاعرنا دليلٌ مادي يدعونا الى التأمل في هـذه النظرية . فهو عادةً لا يجاري والده ولا الـكاظمي ولا شوقي مثلاً في الاملاء ولـكنَّ قلمَه يجري بالشعر العزيز جرياً اذا دفعه دافعٌ وجدانيٌّ قويٌّ ، فينظم القصيدة العـامرة المناهزة للخمسين أو للستين بيتاً في ساعتيْ زمن أو أقلّ ، وقلما ينظر اليها بعد ذلك نظرة تنقيح، وحسبك مرثيته الخالدة « مصرع أبي هيف »

وقصيدته «كارثة دمشق» ونونيته في «عبد الكريم» ورائيته في «المؤتمر الوطني» وقصيدته في «يوبيل المقتطف» وصيحته الوطنية من أجل «الدستور الفاتح» وغيرها من غرر شعره الحيّ الدافق!

ومن العجيب انَّ شاعراً هذا فيضُ قريحته يُؤثر أن يُترَك في عزلته اذا نظم، ويُؤثر السكونَ وحسنَ المنظر حوله، ولا يطلب مُعيناً الاّ راحة فكره من اعماله العلمية المجهدة، على انّ القريض لن يَعصيه عادةً اذا عالجه في ايّ وقت شاء (وكثيراً ما يكون متعبًا)، وان كنتُ لا أقول في ايّ موضوع، فهو لا ينظم الاّ في موضوع له أثرٌ في فؤاده ولبّه. ولاأدري ماذا كُنّا نرجو من آثار قلمه لو انَّ مثله انقطع للأدب بدل ان يختلس الوقت له اختلاساً، ولم يوزّع ذهنَه ومجهودَه في دراسات وأعمال منوّعة شاقة (١).

(١) بين المحافظين من لايزال يتوهم ان الشاعر بل الاديب عامة يجب أن يكون من «المتشردين» ليستحق صفة الاديب. وسابقا انكروا على شوقي بك — وهو الرجل القانوني — أن يكون شاعراً، ووجهوا مثل هذا النقد الى حافظ بك ابراهيم والى المرحوم عبد الحليم المصري لانهما من رجال السيف، والى خليل بك مطران لأنه من رجال الحساب والاقتصاد، والى الدكتورين رفعت وشميل لانهما طبيبان، كأنما الشعر ليس فطرة وطبعاً أصيلا، وكأنما الادب ليس ملكة موروثة قبل أن يكون اكتسابا....! لكن هذه الاوهام قد آذنت بالزوال التام ... واذا كان رجل طبيب بين

من أصدقِ صفات شاعرنا اخلاصهُ لفنّه الشعري وحبُّه الجم له ، ومن أصدقها أيضاً شغفهُ بالجمال على تنوّعِ صُورهِ ، ومن أحسنها ثباتهُ على المبدأ الصالح وعطفهُ على أخيه الأديب كيفما كانت مرتبتهُ الاجتماعية . متواضعٌ في نظرتهِ الى جلالِ الكونِ ورهبتِهِ الذي لا يعدّ الانسان بالمقارنة اكثر من ذرّة تائهة فيه ، معتدٌّ بنفسه عند هُزئهِ ببعض النظم الاجتماعية السخيفة التي تمنح العزّة والقوة للمال الحرام وللمظاهر الكاذبة ، فخورٌ حيثما كان للفخر

الانجليز مثل المغفور له الدكتور براون يبلغ بتضلعه الادبي استاذية اللغة العربية بجامعة (كيمبردج) ، فالاولى بنا ان لا نغمط فضل شاعر كبير بيننا مثل الدكتور أبي شادي لمجرد انه طبيب ضليع في علمه . وهذا يذكرني بقول الاستاذ الفاضل أحمد حسنين القرني في مقال جامع نشرته صحيفة (الامل) بعنوان شعراء الاطباء : « بين جموع الاطباء الاقدمين جماعة لم تعقهم المهنة أو تقعد بهم عن العناية بالفلسفة ، ودراسة الحكمة ، والتعمق في المباحث الادبية ، بل لقد غلبت على بعضهم تلك الفنون فبرزوا فيها ، واستتر وراء عرفانهم بها نبوغهم في الطب كما يتوارى القمر تحت تأثير أشعة الشمس اللامعة . وهاك ابن سينا مثلا فانك ان تعرضت له بدرس تحليلي فانما تأتي على ناحيته الفلسفية وأسلوبه الادبي ، ثم قد تذكر أخيرا مباحثه الطبية ومكانته منها كما تذكر سقراط وأرسطو بالحكمة قبل ذكرهما بالطب ، وانه وان لم يكن هناك من سما به الشعر سمو الفلسفه بابن سينا والحكمة بسقراط لأن هناك شعرا سما به خيالهم ورق اسلوبهم فخلفوا شعرا جديرا بالدرس والتحليل تظلمه ان سميته نظما ، فانما هو نتاج عقلية ناضجة الشاعرية ، ومحصول نفس فياضة بالعاطفة ».

أثرٌ صالحٌ في تحبيذ الخدمة القومية والبرّ بالانسانية ، وبهذا يذكّرنا قوله :

لستُ الفخورَ ـ وانْ فخرتُ ـ فانّني
طَوْعٌ لنهضـةِ امّتي بفخـاري !

ومن صفاته المحمودة تخلّيه عن التقليد الذي اتّصفَ به العقلُ المصريُّ وحبُّه للابتكار والابداع . ويرجعُ ذلك في نظري الى عاملين قويين : أوّلهما اقامته الطويلة في الأوساطِ الأوربية حيث يمتاز العقلُ الأوربيُّ بحبّ التجديد والتفنُّن في ذلك ، وثانيهما معارفه العلميةَ الدقيقة التي تخصّص فيها ، فانّها وهبته قوة التحليل العظيمة التي امتاز بها سابقاً شعرُ ابن الرومي ونُخبٌ من شعر مهيار الديلمي كما امتاز بها في عصرنا شعر مطران وشعر جبران خليل جبران ومن نحا نحوهما . لذلك أُخالف جمهرةَ الأدباء في حسبانهم انَّ الأدبَ قد خسر كثيراً بعدم انقطاع الاستاذ ابي شادي له ، وحسبنا شهادة الشاعر نفسه في قصيدته الفريدة «المجهر ـ The Microscope» حيث يقول :

صَحِبتُكَ عُمْـراً في وفاءٍ ومُتعةٍ
فـكنتَ لفنّي مُلهِماً . ولأفـكاري

فكم من بيانٍ لاحَ لي منكَ مُرْشِداً
وكم من معانٍ قد وهبتَ وأسرارِ
ويُذهلُ قوماً أن يحبّكَ شاعرٌ
وما عرفوا فنّي الدقيقَ وأشعاري
فمثلُكَ استاذٌ لِلبّي وخاطري
وأكبرُ فنّانٍ (١) يُخَصّ باكباري
ولستَ جماداً من نحاسٍ ومَجْمَعٍ
من العدساتِ الهاتكاتِ لاستارِ!

وموهبةُ التحليل هذه جعلته كالمصوّرة الشمسيّة الممتازة اللاقطة لأدقّ الأشعة، البارعة الأثر فيما تمنحنا من صُوَرٍ، لهذا لا يمكن لمثل شاعريته أن تتنحَّى عن اعطاء صورة صادقة لحياة عصره، وأمثلةُ ذلك كثيرةٌ في شعره كما سيرى القاريء.

واذا قُدّر للجمهور المصري خاصةً ولأبناء العرب عامةً عرفان الجميل لادبائه، ففي طليعة هؤلاء الادباء البررة الاستاذ الدكتور ابو شادي، وهو القائل الفاعل:

---

(١) كلمة « فنّان » مصرية الوضع وهي بمعنى « مفتنّ » ولكنها أرق سمعا وأجمل صياغة.

اسمحْ لِشعري أن يبرَّ بقدرِهِ
ماالشّعرُ بين تشاؤبٍ و خُمولِ
شعري كَنَبْعٍ مُدَّ من عيني ومن
حِسّي الدفينِ وخاطري المصقولِ
هيهات يرجعُ عن وفاء دافقٍ
للفنّ أو عن طبعهِ المجبولِ
مهما يفضْ فسخاؤهُ لاينتهي
في فيضِهِ المعشوقِ والمبذولِ
في كلِّ يومٍ بل بكلّ دقيقةٍ
صُوَرٌ تُصانُ لحسنِهِ المأمولِ
حتى تسيلَ مُشَعْشَاتٍ مِلْأَه
سيانِ بين جداولٍ وسُيولِ
فهو المصوّرُ للحياةِ وسرِّها
وهوَ الجديرُ بصالحاتِ رسولِ
ويُعَدُّ إقلالاً كثيرُ نشاطِهِ
في عصر أعمالٍ وجيلِ عُقولِ !

ما الشعرُ تفكهةَ العليل وإنما
الشّعرُ إلهامٌ ونهضةُ جيلِ
فإذا تدفّقَ راوياً بل مُخصِباً
سامَى وإلا عُدَّ غيرَ جليل !

ومن صفاته الممتازة — رغم حنينهِ الدائم المؤثر ووفائه لذكرى صباه وما تمثّل فيه من جمالٍ وغرام — عفافُ نفسهِ ، فهو يحق من أعفّ شعرائنا إن لم أقل أعفهم ، ولهذا أثرٌ صالحٌ في شعرهِ يُسيغ لكَ كلَّ غزلهِ البديع مهما أسرف فيه أحياناً ، لأنكَ تَشعر بأنّه إسرافُ الذاكرِ لحبّه الأول ، وإسرافُ المتبتّل في عبادة الجمال على تنوُّع صُوَرهِ . . . تتابعهُ في إسرافهِ هذا قريراً ، لأنه رغم جرأته التحليلية لا يخجلك بل لا يخجل العذراء في خدرها بلفظ نابٍ أو بمعنى سقيمٍ بغيض .

وشاعرنا الآن في منتصف العقد الرابع من عمره ، فاذا بشعره في المواقف المناسبة — كشأنه في رثاء أبي هيف ومحمود مراد وسليم سركيس — شعرُ الحكمة والفلسفة الدقيقة الممتاز بالتحليل والاستنتاج قبل الشك والحيرة — وانّي لأدعو له بطول العمر ، وأتنبأُ لشعره الحكيم كلما مرَّ الزمنُ بفتح خالدٍ جديدٍ في دراسة

النَّفس الانسانية وعوامل الخليقة . وسيتمتع القارئ بأمثلة شائقة لهذا الضرب من الشعر في ثنايا ما يطالعه من قصائد لايقلُّ عن تمتُّعِهِ بموسيقى غزليات الشاعر ، أو بصوَر وصفه المجسَّمة الناطقة .

وإذا ذكرنا أشعاره الوطنيـة وجب أن نذكر على الأخص قصائده « النهضة إرادة » و « مصر للحضـارة » و « الكبرياء القومية » ، وأن لاننسى قوله :

حاشايَ أن أدعو الديارَ دياري
وأخونَ في يوم الوفاء شعاري !

فهو في ميدان الأدب القومي — شأنه في كل مجال — لا ينظم عن زهو أو مجاراة أو رهبة ، وانمـا عن يقين ومبدأ ، فينشد يوم الكريهة :

لِمَ لا أغرّد ضاحكاً في غضبتي
لِمَ لا أسيرُ بطلعةِ الثُّوّارِ ؟!
الشاعرُ المطبوعُ قائدُ قومِهِ
بالفكرِ والإلهامِ والآثارِ !

فهو من شعرائنـا القليلين المعدودين الذين نأخذ عنهم شعر الوطنية وحيًا صادقًا ، وإلهاما دافقًا ، وتعاليمَ حيَّة ، لا يأتيها الباطل

من أيّة جهة ، ولهذا كان شعرُهُ القوميُّ كثيرَ التردُّد على ألسنة الشّباب ومضربَ المثل في الحماسة الشريفة المتنجة .

لقد ذكرتُ في كتاب (**نظرات نقرية فى شعر أبى شادى**) بياناً كافياً عن أسلوب الشاعر وذوقه الموسيقي ، وأقول هنا بالاجمال إنَّ شاعرنا في اختياره اللفظي من ينطبق عليه صدقاً وصف خليل بك مطران له :

وشاعرٌ رقيقـــهُ ذو روعةٍ كجزلهِ

وهو إذا تعمد استعمال ألفاظ مطبوعة بطابعه الخاص ، أو اذا جاءتْ الحسناء من قصائده الغزلية أو الوصفية مثلا غير منمقّة التنميق المألوف ، فذلك لأن نزعته الفنية قد تعشق الجمال الفطري المعربد أحيانًا ، وصدّقني — أيها القارىء العزيز — انَّ للجمال المعربد فتنة وسحراً لن يبلغها التنميقُ والتزويق في كثير من الاحوال . . . . !! (١)

ويجب أن لا تفوتني الإشارة الى خصبه وقوّته الانتاجية المدهشة بالرغم من شواغله العلميّة والفنية المتنوعة التي تكاد لا

(١) أخذ عليّ بعض الادباء تشجيعي لصديقي الاستاذ صاحب الديوان في نزعاته التجديدية الجريئة كالشعر المرسل (سواء أكان مطلق القافية اطلاقا تاما أم منوعها) وتنويع البحور وغير ذلك . ويكفيني أن أحيل هؤلاء الافاضل الى كتاب (الخصائص) للعلامة ابن جني ، والى امهات كتب العروض والبيان ليروا

تُحَدُّ ، فهذه القوَّةُ الانتاجيةَ وليدةُ لذتهِ الفنّيةِ وحدها ، وليست وليدة الحاجة أو الرهبة أو المجاملة أو الزَّهو الكاذب ، وإلا فانه ما كان يعارض التيّارَ والأهواء التي لاتوافق مشربَه ، بينما غيره يجاريها ويتقلب معها بلا حساب لينالَ التصفيق من رجال كلِّ

بأعينهم وعقولهم كيف أن الشعر واللغة أصلا على سعة عظيمة من الحرية ، وكيف ان بحور الشعر العربي المشهورة كثيرة الزحاف والعلة مما يجعلها متقاربة الوزن لامتماثلة تماما ، وكيف يسوغ لنا بعد ذلك الاستنتاج بان العرب قديما كانت تنشد الشعر في القصيدة الواحدة من أوزان متقاربة ، وكيف انه توجد بحور كثيرة غير مدونة ، وكيف ان واضع علم العروض الخليل بن احمد الفراهيدي من علماء القرن الثاني للهجرة لم يحتم على الناس اتباع آرائه واستنتاجاته عن أساليب العرب الجاهليين بل اعترف بجواز المخالفة له حتى ان بعض المقلدين قال لابي العتاهية (وكان معاصراً للخليل) نقدا لبعض شعره : « خرجت فيه عن العروض » ، فقال : « سبقت أنا العروض » ....!! وبديهي أنه يستحيل على شاعر مطبوع أن يجيء شعره خاليا من الوزن أي مكسور النظم ، ولكن من الجائز أن ينشد من بحور متقاربة بحكم الفطرة والسليقة ، دون أن يفسد الموسيقى العامة للقصيدة ، بل قد يكون التنويع مستحبا ، وقد يساعد أحسن مساعدة على تمام الاداء للمعنى ، فمن العبث نقد هذا التفنن والاقتدار والالهام الفطري ، ومن التحامل وعبادة التقاليد تسمية هذه المواهب باضدادها . ان الشعر العربي بنشأته متجاور الوزن في البحر الواحد لا متماثله ، فلماذا لا نستعمل بحورا متجاورة في القصيدة الواحدة ؟ لقد كان المتنبي في مجهوده الادبي يعمل لارضاء صديقه ابن جني كما قال المتنبي ذاته ، واني لا اجهل اثر صحبتي ومعاشرتي في نفسية ونزعات صديقي الاستاذ ابي شادي ، واني في طليعة من حثوه على الاستمرار في ميوله الحرة ، وحسبي أن أقول لاخواني الادباء المحافظين الناقدين ماقاله الاستاذ الدكتور طه حسين للاستاذ الشيخ علام سلامة « ... ما رأي الاستاذ اذا قلت له ان النحو لم تكمل مباحثه بعد رغم ما كتبه

حكمٍ وعهدٍ . وهذه صفة طيبة نذكرها بالشكر والفخر ، ونقرن ذكرها بأطيب الدعوات لعافيته وراحته النفسية .

كذلك يسرني تكرار الاشادة بعطفه على اخوانه الادباء[1] وقوله : « فكلُّ أديبٍ للأديبِ قريبُ » ، يمثل عاطفةً حيّةً في نفسهِ ومذهباً يدينُ به . لا يفتش عن عيوب الناس وانما يُعنى بحسناتهم ليطرب لها ويذيعها . يكفيه أن يعلم أنك من اسرة الأدباء ليُقبل على مودتك فيجاذبك الحديثَ بشغفٍ واخلاص وبساطة بعيداً كل البعد عن التكلف . وهو يشمئز من المفاضلة بين الادباء التي لحمتها وسداها التحاسد والفخر الكاذب ، ويغتبط بتشجيع كلّ أديبٍ شريفٍ عامل ، وباقالةِ العاثر من عثاره ، معتبراً غيرَه من الادباء كنفسه

سيبويه وابن خروف وابن عصفور وابن هشام وابن مالك ومن اليهم من اعلام الشرق والغرب الاسلاميين ؟ بل ماراي الاستاذ اذا قلت له ان كل علوم اللغة العربية لم تنته عند غايتها ولم تكمل مباحثها بل هي في حاجة الى التجريد واستئناف الدرس ، ولا سيما النحو والصرف وعلوم البلاغة؟وما رأي الاستاذ ان قلت له ان الادب العربي كله محتاج الى التجديد واستئناف الدرس ؟ »

هذه هي تماما نفسية أبي شادي التي شجعتها من صميم نفسي ، ولي الحظ والشرف باشتراكي في ذنبه ان كان لهذه النزعة الهادمة البانية جريرة وذنب ....!!

(١) نشرت في الديوان أمثلة من هذا الود الادبي ، ونقلت بالزنكوغراف بعض النماذج من رسائل مشاهير الادباء (كما سبق لي مثل ذلك في ديوان «أنين ورنين») تقديراً لمنزلة كاتبيها الافاضل .

خدّاماً لدولة الأدب ، فمن أوجب الواجبات عليهم جميعاً التضامن والتعاون القلبي والعمل على رفعة هذه الدولة ونشر نفوذها ودوام اصلاحها وتجديدها ، لا أن يحاول كلٌّ منهم أن يخلق لنفسه إمارةً ، فيسود التنازع بدل التعاضد ، وتضيع مجهودات قيمةٌ في سبيل التدمير وخدمة المجد الشخصي الزائل. لا يجحدُ فضلَ إنسانٍ اذا اطّلع على شيء من أدبه وإنْ كان غيرَ معروف في حلبة الادباء ، ويكون أسبق من نفس ذلك الاديب لاذاعة فضله ، ولا يبخل بفائدة اذا استطاع أن يُسديها ، ولا يتعالى في مقام الاستفادة . وهذه أصلاً أخلاقُ العالم الفاضل ، فالأدبُ هو الرابح باكتساب بثّها ونشرها ، لأنّ في نشر ذلك المبدأ نشر نهضةٍ أدبيةٍ جديدةٍ يعتزُّ بها الادبُ الكريم ، وتذكّرنا معشر الادباء بحاجتنا لاجتذاب عدد أوفر الى صفوفنا من بين العلماء المتأدبين ، فانّ روحَ العلم المقترنة بالاخلاق الفاضلة رأسُ مالٍ بل ذخر حياةٍ لأيّة نهضة .

من النقّاد من يوازن بين كابر من شعرائنا وكبير من شعراء العباسيين أو الأمويين مثلاً فيسرع الى المجازفة في حكمه ، متناسياً عوامل البيئة والوسط عند تقديره . ومن رأيي أنه يحسن بنا أن لا نغفل ذلك ، وأن نعتبر من مقاييس عوامل تقديرنا وفاء الشاعر

لحياة جيله وعصره . ذلك مقياسٌ صالح من مقاييس التقدير كما أنه مبدأٌ صالحٌ أرى شاعرنا متعلقاً به ، وأُكبرُهُ فيه مسروراً . ومن النُّقَّاد من يُنفق الساعةَ بل الساعتين في جدلٍ حول لفظةٍ أو كلمات لن تَقدّم ولن تؤخر شاعريةَ أيّ شاعر ، فيرفعونه بها الى عنان السماء أو يمرغونه في التراب حسب أهوائهم وأذواقهم . . . ! ! ولو عقلوا لرأوا أنّ هذا اللهوَ هذيانٌ في هذيان ، وسبّةٌ للشعر الصميم . ونصيحتي الى هؤلاء الافاضل أن يثقوا بأنَّ شاعرنا يتعمد استعمالَ كلّ لفظ منتقى في هذا الديوان وفي سابق دواوينه ، سواء كان هذا اللفظ عربياً صميما أو مصريَّ النشأة صقله الاستعمالُ ، فالأَولى بهم التمعُّن في مراميه المجازية وخواطره الفلسفية وفي تصويره الدقيق وغاياته البعيدة وفي علة اباحته القليلة قبل المجازفة بنقد مواضع الالفاظ أو معانيها واستعمالها . ولو كان عندي الكافي من وقت وفراغ للشّرح لما اكتفيتُ بما سردتُ من أُمثلة قليلة لطلبة الادب ، ولذكرتُ ظروفَ كلّ قصيدة وشرحتُها شرحاً وافياً بعد التشاور مع الناظم ، فاللَّذة كل اللَّذة في ذلك ، ولكنَّ مثل هذا المطمح بعيدٌ عن مقدوري في ظروفي الحاضرة . ومن رأيي أيضا انَّ الخطأ في تشجيع الشباب من الشعراء (كما لحظتُ في مقالات نقدية حديثة).

على العناية الشاغلة بسهولة اللفظ أو فخامته دون احتياج لتفسير ، فانَّ مثل هذه العناية وان كانت مستحبَّةً إلاَّ أنها ليست قصداً مستقلا بذاته ، ولن يعيب الشعر — طالما لم يكن معقّداً — تفسيرُهُ من ناحية شعرية وبيان ظروف الشاعر وقتَ نظمه . فعقولُ القراء مهما سمتْ تتفاوت في الفهم والتفسير . وجميلٌ أن ندرك المعاني الأصلية التي يرمي اليها الشاعر على أتمّ وجوهها لو استطعنا ذلك ، وأن نتخذ من كلّ قصيدة ببيانها وشروحها مجلسَ أنس أو نَدوةَ حكمةٍ ، فالأَوْلى بنا إذاً أن نحثَّ على نظم الشعر للشعر أولاً وآخراً .

* * *

الى هنا انتهتْ مادة مقدمتي الموجزة ، ولا أعدُّ ما يلي — وانْ راعيتُ فيه الايجازَ أيضاً — جزءاً منها ، وانما هو بعضُ التطبيق ، والشرح المستمدّ من نظرات مكررة عجولة في صفحات هذا الديوان ، شوقاً مني الى اشراك القراء في طريقتي الدراسية ، ومن عادة محبّ الأدب أن يكون كالمبشّر الديني شغفاً باجتذاب الناس الى عقيدته ومذهبه !

وسأُراعي الاقتضابَ ما أمكن ، مكتفياً بما يشحذ عقولَ الناشئة من الادباء على الاخص لمتابعة نظراتي في الشرح والنقد

وقراءة هذه المجموعة الشعرية البليغة كما يجب في عرفي أن تُقرأ . لنتأملْ أولاً في مبادىء الشاعر نجدْ أنها مُشْبَعة بالبرّ الانساني واعزاز الديمقراطية والمساواة والحرية ، واعتبار خدمة الجنس البشري ديناً الزامياً على كل انسان . ألم يقلْ لنا عن « أسمى العبادة » :

أسمى العبادةِ أن تفكّر خاشعاً ... في جنسك السّاعي لنصرِ غداةِ
وتقارنَ الماضي بحاضرك الذي ... هو خطوةٌ لغدٍ قرينِ حياةِ
فكّرْ به واجعلْ له قربانه ... ما طاب من علمٍ وصدقِ صفاتِ
أنتَ المدينُ لآلافِ جيلٍ سالفٍ ... بالرأيِ والتهذيبِ والحسناتِ !
وسواءٌ افترضِ الخلودُ أم الفنا ... فعليك برٌّ مقدّرٍ ومؤاتِ
فكّرْ بجنسِكَ ، إنَّ ذاكَ عبادةٌ ... أولى بقدركَ يا حليفَ مماتِ !

ألم يقل أيضاً عن « إلآهة الحرية » :

الشّمسُ أنتِ بحرّها وبنورها ... فاذا احتجبتِ فقد أُضِلَّ بنوكِ !
والدّينُ دينُكِ لا يُجزّأُ جوهراً ... فاذا تجزّأَ ضاع بين شكوكِ !

ألم يقل قديماً عن « قوّةِ الحقّ » :

مَنْ داس حقّ ضعيفٍ داس قوته
ومَنْ يُقِلْه شجاعاً فهوَ خيرُ بطلْ

ألم يقلْ عن « عماد الأمم ـ الحرية والاخلاق » :

ولم أرَ كالاخلاقِ مظهرَ أُمّةٍ
وجوهرَها المُحْيي عزيزَ رجائها
ولا مُبدعَ الأخلاقَ كالحريّة التي
تُغذّي وتُنْمي من طَهُورِ غذائها
وما العقلُ والعرفانُ في الاسْرِ قوةً
اذا كانت الاخلاقُ صرعى بدائها
فقدّسْ ـ اذا كرّمتَ مجداً لامّةٍ
ونهضَتها ـ حُرّيةً لبنائها !

ومن أحسن شعره في التضامن القومي واقرار الحقوق الوطنية قوله من قصيدته « يوم النشور » :

والحقُّ أضيعُ ما يكون اذا نأى ... عن نصرهِ المتهالكُ المقدامُ
والشعبُ إنْ جهل الحياة وقدرَها ... هيهات ينصفُ حظَّه الحُكام
واذا تفكّكَ في مقامِ تعاونٍ ... فعلى الكرامةِ والحقوقِ سلامُ !

وعززَ المساواة بقوله مخاطباً الآنسة منيرة ثابت :

وثرتِ فيانعمتْ الثائره ... على الخُطَطِ الرثّةِ الجائرَهْ
فعيشي لجنسِك يا آسرَهْ ... مخلصةً ، وارفعي قادرَهْ
لواءَ المساواةِ أبهى منَارْ !

وقال في قصيدته «عيد العمّال» :

اليومَ قدّرُ الناس قدرُ كفايةٍ والبومَ لن يطأ الزّمانُ عبيدا
أنتم بنو الشرف العظيم بنفعكمْ للناسِ تبنون الوجودَ جديدا

وقال أيضاً :

والحكمُ شُورَى إنْ رأيتَ رسوخَه
فهي الضمينةُ دائماً لقرارِ
والفردُ والجبروتُ ليس كلاهما
الاّ سلالة مُظلمِ الأعصارِ
كالبوم يختار الظلامَ لعشّهِ
فاقضُوا على إيثاره المختارِ
وطنٌ (كوادى النيل) تضحكُ شمسهُ
ونجومهُ أولى بكلّ فخارِ

من أدلّة العجز في التقدير والجهل بالموازنة الحقّة أن لا يسعَ ميدانُ الأدب في قطر من الاقطار اكثر من نابغة ، وهكذا كان الحال عندنا في أواخر القرن الماضي، حتى اذا ماسمتْ الثقافة وانتشر العلمُ صرنا ندرك انّ الشاعريّات تختلف اختلافاً كبيراً في مكوّناتها واتجاهاتها ، وانّ صفات المشاركة بينها أقلّ من صفات

التّباين والمخالفة . لهذا كان من حقّ البحث العلمي والنهضة الأدبية أن لا نجاري المتقدمين في الموازنات الضّالة ، بل علينا أن نتأمل في مبلغ اندماج الشاعر في بيئته ، ومبلغ انعكاس صورتها في مرآة شعره. وأحسبُ انّ هذا جليٌّ محسوسٌ في شعر ابي شادي . وفي هذا الموضوع يتفق رأيي ورأي الأديب الكبير الاستاذ اسماعيل بك مظهر ، كما يتفق في اعتبار الشعر الوجداني نافذةً الى نفس الشاعر تفضح دخائلها مهما حاول سترها . قال الاديبُ الفاضل : « ان نفسية الشُّعراء نفسية مفضوحةٌ في شعرهم ، بيِّنةٌ في خطرات نفوسهم جلية واضحة ، بل تكاد تكون ملموسةً ، دون غيرها من نفسيات الناس . كنتُ أسير يوماً مع صديق أديب على شاطيء النيل ذات أصيل ، وقد فاض النهرُ في آخر شهر آب ، وانعكستْ على صفحته النحاسية أشعة الشّمس الذهبية ، فوقف صديقي أمام النهر المتدفق المنساب في جوف الطبيعة انسيابَ الأملِ العريضِ من نفسٍ أمضّها الفراقُ ، وقد بهتَ من عظمة ما رأى ، فما لبث أن أخذ كتاباً كان معي وكتب على صفحته الاولى :

اللهُ أنتَ وأنتَ اللهُ يا (نيل)
منّي لشخصِكَ تعظيمٌ وتبجيلُ .

يبدو جمالُكَ ملءَ النفسِ قاطبةً
فيأخــذُ النفسَ تــكبيرٌ وتهليــلُ

ولم يكُ صاحبي من المشتغلين بصناعة النظم ، ولم أعرف عنه انه شاعرٌ ، بل هو ناثرٌ من كبار الناثرين ، وإنْ كان في نفسِهِ نزعة الى الشعر فانما هي نزعةٌ تلوحُ ضئيلةً بجانب ما فيه من حُبِّ البحث والاختبار .... وبعد ، فهل رأيتَ في خطاب ذلك الصديق الى (النيل) كيف كشف عن نفسه وكيف جعل النيلَ في منزلة واحدة مع الله ، وكيف بدا جمالُ الطبيعة ملءَ نفسه ممثلاً في النيل وفي ذلك الظرف الذي فاضتْ فيه أشعةُ الشمس عند الأصيل على صفحة النهر النحاسية الجميلة بحقٍ ، فأخذ ذلك الجمالُ على نفس الصديق أطرافها وملأ جوانبَها ، فلم يُترِكْ في نفسه منه مكانٌ خالٍ ليسع أيَّ فكرةٍ أو معتقدٍ أو مذهبٍ آخر ، سوى انَّ النيلَ إلـهٌ القادر على كل شيء ، وانّ وحدةَ الوجود التَّصوُّفيَّة لم تتركْ في العالم من شيءٍ عند شاعرِنا الأديب الاَّ الله والنيل ، ولا شيء غيرهما ! وما من ريبة في ان هذه الخطرةَ التي فاضتْ بها نفسُ الصديق في تلك الاونة قد فضحتْ سرائر نفسِهِ وأظهرتها على حقيقتها الكامنة دون مظهرِها الخارجي ، فنمَّتْ عن انَّ تلك النفس لو حوطتها عقائدُ

الوثنية لـكانت أثبتَ فيها من كلّ ما خلق اللهُ من صُوَر الدّين فوق هذه الأرض ! ولو أنك نظرتَ معي في ملامح صديقي وما ارتسمَ على وجهه من مظاهر الحُبِّ الشديد والعطفِ مشوباً بشيء من الانقباض والحيرة ، لاعتقدت بانَّ تلك الحيرة وذلك الانقباض لا يدلاّن على شيء ثابت دلالتهما على تنازع بين التقاليد الوراثية في النفس اذْ تتناحر جادةً في سبيل أن تملك كلٌّ منها أطرافَ النَّفْس تحت تأثير ظرفٍ من الظروف. وكأنَّ الله ما خَطَّ على وجه ذلك الصديق مسحةً من الحزن تراها نامةً عن حقيقة نفسه بلا شعر حتى وبلا حديث ـ على الرغم مما يلوح في كلامه وحركاته من مظاهر المزح والهزل ـ الا لينفضحَ سرُّ نفسه وانْ أجهدَ نفسه في إخفائِهِ . وما ان لاحَ على وجهه في تلك اللحظةِ التي أخذ يخاطبُ فيها النيل من شيءٍ ، وما ان زاد على صفاتهِ من صفةٍ الاَّ انفعالٌ ممسوسٌ بكآبةٍ شديدةٍ ازدادت معها مسحةُ ذلك الحزنِ العميقِ الذي خطّتْهُ يدُ القدرة على محيّاه . . . . على هـذا النسق يدلُّ الشعر دلالةً صحيحةً على حقيقة نفسيّة الشّاعر ، فانَّ الشعرَ هو الصوت الصارخُ الخارجُ من أعماق النفس ، بل من أعمق أغوارها ، ليُنشِئَكَ في اللغة عنوانًا حيـاً على النفسية التي بعثته من قرارة

الوجدان الى عالم الخطاب . ومهما يكن من تأثير روح العصر على الشعر والشعراء ، ومهما يكنْ من أمر حاجات الحيـاة وتأثيرها في الشاعرية ، إذْ تقلبها في بعض الأحيان الى صناعةٍ للنظم تبدو جلية في المديح وغيره قضاءً لحاجات ما تحرّكتْ لهـا الشاعريّةُ ولا فتنت بها النفس ، فانّ الشاعر لن يفلتَ من يد القدر مطلقاً ، فلا بدَّ من أن تعثرَ في شعرِهِ على خطرةٍ أو مقطوعةٍ قصيرةٍ أو مناجاة يبعثها الى الله أو الى الطبيعة أو الى شيءٍ أو معنى مبهمٍ قد يشعرُ به ولا يستطيعُ التعبيرَ عنـه ، ما تنمُّ في الدنيا عن شيء الاَّ عن دخيـلة نفسه ، وعن نوَاتها التي التأمتْ من حولها كلُّ عناصر نفسه . إنّ أدلَّ صوَر الشعر على نفسية الشاعر انمـا هو شعرُ الانفعال : الشعرُ الذي يبعثُهُ انفعالٌ خالصٌ من النَّفس غيرُ مشوب بشيء من حزمِ الارادة ولا روادعِ العقلِ ، ولا متكلفٌ من ناحيـة الصناعة . فاذا أردتَ أنْ تبحثَ في مجموعة ما أخرج شاعرٌ من قصد لتستدلَّ بشيء منها على نفسيته ، فانما يجب عليك أن لا تتعمّد التغلغل وراء معانيه الخفية ، ولا أن تغوص وراء تشبيهاته ، بل يتعين عليك أن تبحث في أيّ المواضع من شعره بعِثَ انفعالُه وتجرَّدَ عن ارادتهِ في ضبطِ معانيه ، وعري

عن عقال عقله ليسير وراء ما يريد أن يخرج من معنى معقود على غرض يريد الوصول اليه . واني لا تخيّل أنّ هذه القاعدة لا تخطئ اذا أمكن تطبيقها بما يقتضي لذلك من الحيطة والحذر وطول الاناة والصّبر على البحث وقوّة الملاحظة » .

ولا أظنّ الناقد الأديبَ الدّارس لشعر أبي شادي في حاجة الى طول الاناة والصبر على البحث في فهم شاعريته ، فان من أسمى صفات شعره وجدانيّته الكاشفة ، وانْ استدعى خيالُه الشّرود التأمّلَ العميقَ أحيانًا . فهو لا يخافُ التقريرَ الصريحَ لعقيدته في شتّى مظاهرها ، وليس للصناعة او الرهبة ادنى احتكام في شعره . تقرأُ ذلك في شعره التصوّفي ، كما تقروءُه في شعره القوميّ ، وفي ميوله الوصفية ، وفي اجتماعياته ، وفي غزلياته ، وفي افتتانه بالجمال الطبيعي والانساني على السواء ، فتحكم أنَّ هذه آثارُ نفسٍ حرةٍ وفيةٍ حساسةٍ معتدّة بشعورها وصفائها ، تبغضُ الملقَ ولا تبالي بمجاراة الناس اذا لم يقرّها على ذلك حكمُ الضمير . فتسمعُ صاحبها ينشدك دون تردُّد عن « ضمير الخالق » :

قلْ لي هو الانسانُ في تفكيره ولعلمِهِ هذا الوجودَ وجودَا
لِمَ لا أحسُّ بأنَّ روحي صورةٌ لضميرِ مَنْ شغفتْ به معبودَا ؟!

وأنا المُقِرُّ بأنَّ كُلِّي قطعةٌ ... مما أراه مجدِّداً ومُعيدا
أفْنَى به حيّاً أحسُّ بحكمِهِ ... ومتى تضيتُ فإن أموتَ شريدَا!
إنّي ضميرُ الخالق الموحي بما ... أبقى أتابعُ نورَه الممدودا
ويظلُّ نوعي[1] حافظاً لونائهِ ... ومعبّراً عنه هوًى وخلودا!

ومن كان هذا رأيه الفلسفي في حكم الوجود لا تُنْكَر عليه نسبةً قصيدتُه « المصلح الاثيم » ، وفيها يقول :[2]

أنقذْ جُموعَ الغارقين بوهمهمْ
وأبعثْ من العقل الحكيم سليلاَ
وأدفنْ خرافات تولّى عصْرُها
وأنشرْ (كالوثر) للصـــلاح زميلاَ

(١) أي النوع الانساني

(٢) من الادباء من يغالون فينكرون أشد الانكار حرية التفكير في مسالة كمسألة الخلافة ، أو كمسألة اللباس الاسلامي وما شابه ذلك بينما يفوتهم الالتفات الى المسائل الجوهرية الخطيرة كانشاء عصبة ديمقراطية حية للامم الاسلامية تتفق وروح العصر ، ومنهم كذلك من لا يفهم الشعر التصوفي الفلسفي ، فيسيء تفسيره ، ويحسبه من الشعر الالحادي ، ولكن الواقع ان الشاعر المتصوف فيلسوف باحث بينما الشاعر الملحد يجزم عادة بمعتقده ، وليس الجزم غالبا من الفلسفة في شيء ، لان العقل الانساني اصغر من أن يحكم حكما تقريريا ما موما في اسرار الكون العالية . ومن أمثلة الشعر الالحادي قول الاستاذ معروف الرصافي في قصيدته « حقيقتي السلبية » (وقد نشرتها صحيفة « الحسام » البيروتية) :

فلقد سئمنا طولَ عهدِ عبــادةٍ
(ايزيس) خصّتها (بمصر) طويلاَ
حتى مضتْ دُنيــا الظنونِ ولم نزلْ
للجهلِ أسرى لا نرومُ بديلاَ

وهذا مثــالٌ آخر من شعره التصوُّفي في تعريف « الله » جلَّ شأنهُ :

هوماتراهُ بكلّ حُكْمٍ مدهشٍ للكائناتِ وكلُّ ما تلقاهُ
هو جملةٌ من قوّةٍ وعواملٍ بنتْ الوجودَ ولم تزلْ تخشاهُ
وتظلُّ تبحثُ عن حقيقةِ كنهِهِ وتظلُّ تجهلُ أصلَه ومنَــاهُ
والمرء أصغرُ من إحاطة عقله بأجلّ سرٍّ جلَّ مَنْ أخفاهُ!

وقد اشتهر شعره الفلسفي في الحياة والموت وكان مستمدّ الالهام ومنبع الوحي لمنْ نظر نظراته من الشعراء .

ولست من الذين يرون خيراً بابقاء الحقيقة في الخفاء
ولا ممن يرى الاديان قامت بوحي منزل الانبيــاء
ولكن هن وضع وابتدع من العقلاء أرباب الدهاء!
ولست من الالى وهموا وقالوا بان الروح تعرج للسماء
لان الارض تسبح في فضاء وماتلك السماء سوى الفضاء

والفرق ظاهر بين هذا الشعر وبين الشعر التصوفي المشبع بالفلسفة الروحية، الذي يعتبر صاحبه نفسه تلميذاً لم يحز من العلم الا ذرات قليلة ، وان طلق العقائد البالية والتقاليد الوهمية .

للصديق الاديب الشهير الاستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلة (الزهراء) الغراء مبدأً جامعٌ عظيمٌ تمثَّلَ في قوله : « إنَّ الناطقين بالضاد لا تثبت لهم نهضة ما لم تكن قائمةً على دعامتين : احداهما المرونة في اقتباس ما في حضارات الامم الاجنبية من وسائل القوة ونُظُم الادارة ، وانصراف الفرد الى التخصص بعمل يجدُّ لتجويده . . . . والثانيـة الاحتفاظ بتقاليدنا التاريخية ، وأوضاعنا الوطنية ، وسجايانا القومية ، ولساننا الغنيّ الأصيل . فعلى هاتين الدعامتين نستطيع أن نشيدَ البابَ الذي ندخل منه الى دور آخر من أدوار تاريخنا القومي ، حيث نجدُ الأفقَ واسعاً للكيان العربي الجديد ، وحينئذ يُتاح لابنائنا القيام بنصيبهم من خدمة الحضارة العامة » . وشاعرُنا من معزّزي هذا المبدأ في جملته كما تشهد بذلك آثار أدبهِ في (الزهراء) وفي غيرها من كبريات مجلاتنا وصحفنا ، ولا عبرة بمخالفته التفصيلية في بعض المسائل كمسألة الخلافة وغيرها من المسائل الثانوية في اعتباره ، أو بمحاربته لتقاليد الجمود ، وانما أصلُ شعوره الصادق ماينمُّ عليه مثلاً قولهُ عن « ذكرى الحضارة العربية » مخاطباً الأمير شكيب أرسلان :

فالمرءُ بضعةُ ماضيه ، وحاضرُهُ
مرآةُ آتيـهِ من حَظٍّ وإتعاسِ

فلا تخفْ بأسَ إلحادٍ فما برحتْ
جلالةُ الأمس أصلَ الفضلِ والباسِ
جلالةٌ خشعَ التاريخُ حارسُها
في معرض الوصفِ وضَّاءٌ بنبراسِ
حضارةٌ هي جَمْعٌ من فنون عُلًى
للنابهين ، ومقباسٌ لمقباسِ
كفَتْ جميعَ بني الأعراب جامعةً
على تباين أديانٍ واحساسِ
وما تجرَّدَ من دينٍ لنا نفَرٌ
الاَّ وللمجد دينٌ فوقَ مقياسِ !

وصراحتهُ هذه المحبوبة ممثَّلةٌ أيضاً في شعره الغزلي ، بل في كلِّ نوعٍ من أنواعِ شعرِهِ . ألم يقلْ لنا عن « أمتع الانس » :

تُسائلني عن امتعِ الأُنس لذَّةً
وما الأُنس حقّاً غيرَ ايناس غانيهْ !
تنازلتُ طوْعاً عن وعودٍ بجنةٍ
لساعةِ صفْوٍ منكِ بالصفّْوِ غاليهْ !
وما الحورُ والولدانُ في معرضِ الهوى
وأنتِ منالُ اللذّةِ المتناهيهْ !؟

وحقِّكِ كم جدَّدْتِ بالوصل مهجتي
نعيماً ، وكم أضحتْ ببُعدِكِ فانيهْ !

فكم بين شعرائنا مَنْ عندهم الشجاعة الكافية لتقرير مثل هذا الشعور وإنْ أحسُّوا به ؟!

وهو لم يستر هيامَهُ بجمال المرأة ، وفيها أنشد قصيدته البديعة « الأنثى والمرأة » ، ومنها قولَه :

انظرْ لعينيها كما نظرَ السَّما
متبتِّلٌ سأل المَعِزَّ سؤالاَ !

وقولُهُ أيضاً :
يا زينةَ الدُّنيا ومبعث نورها
عيشي لمن عشقوا سناكِ حلالاَ
غنِّي لنا معْنى الحياةِ فانما
لولاكِ أصبحتْ الحياةُ خيالاَ !

وقد قال أحدُ الظرفاء إنه لو اتيح لمثل الدكتور أبي شادي أن يستعرض حُرّاً نوادرَ الجمال النسوي كلما أراد لزاد الشعر الغزلي العربي سعةً وتألقاً لا نعرفهما الآن ولخصَّ بكلِّ انموذج ديوانا..!! ووجهُ الجدّ في هذه الملاحظة الفكاهية أنّ الشاعر الوجداني يجب

أن يكون خاطره وقلمُه كذهن المصوّر الناقش وريشته ، لا يفوته استيعاب ما يراه من حسن ، ثم ترجمة أثره في نفسه بما يرتضيه فنّه .

واذا انتقلنا الى الشعر الوصفي التحليلي فمن منا الذي لم يتأثر ببيانه عن « جزع عاشقة في مرض حبيبها » حيث يصوّر آلامَها وآمالها أدقّ تصوير ، أو بقصيدته عن « أوراق الخريف » ، أو « القلب الدامي » أو بقصيدته « عرس الأصيل » ، وغيرها ، وغيرها ؟

وما ظنك بقوة التخيّل التي تنشدك هذه الانغام العذبة من شرفة منزله المطلّ على البحر والترعة الاسماعيلية بثغر السويس :

غنّى الأصيلُ فقمتُ أرقبُ عُرْسَهَ
قبلَ التفرُّقِ في المساء الدّاني
فاذا الأشعةُ راقصاتٌ مثلما
رقصتْ لتَلعبَ بالقلوب غوانِ !
يتموّجُ الماءُ الطّروبُ وتزدهي
وثباتُها عجباً على الاغصانِ

طوراً مذهّبةً وآناً فضةً
وأعزّها سحرٌ بسحرِ بيانِ
والتمرُ مُحمّرٌ ومُصفرٌّ على
عالي النّخيلِ كجمعها الفتّانِ
جُمعتْ به الأضواء بعد تفرُّقٍ
وبَدَتْ به الجمَراتُ حُلو جُمَانِ!

أرأيتَ كيف تلاعبَ خيالهُ بوصف هذه الأشعة في تنقّلها، وشيوعها واجتماعها، وكيف صوَّر لك التمّرَ الأحمرَ والأصفرَ كمجمع لأنواع من هذه الاشعة المنبثّة في الطيف الشمسي؟! – كلّ ذلك بلفظٍ سهلٍ جميلٍ يعشقهُ الأديب وان تضمَّنَ الخيالَ العلميَّ البعيد ...

وهاك مثال الجمْع بين الخيال والوصف الفلسفي « لأوراق الخريف » :

هل كان نثرُكِ غيرَ ايذانٍ بعُمْرٍ قد تقضَّى؟
هل كنتِ الاَّ رمزَ أحلامٍ نُفِضْنَ اليومَ نفضاً؟
مصفرَّةً – شأنُ المماتِ، بحُمْرَةٍ تحكي النجيعْ
فكأنّما قتلتْكِ أحكامُ (**الخريف**) بلا شفيعْ!
يرثيكِ عقلُ الفيلسوفِ يراكِ لغزاً مُذْهلا

العيشَ والموتَ المعجلَ والرجاءَ المقبلاَ !

ومن خير نظراتِ الشاعر نظرتُهُ الخُلقيّة وشعورُهُ بواجب الشّعر الكريم في بثّ الفضيلة لا عن ارهابٍ ولكن باعتبار انّ الفضيلة والخلقَ اثنينَ رأسُ مالِ الرقيّ الانساني خليقٌ بالتعميم ، فمن يحتقر الفضيلة يؤذي كرامته ومصالحه قبل أذى غيره ، فجاءت خطراتُهُ الصادقة في هذا البحث مِنْ خيرِ ما يزدان به الشّعرُ العصري ، وتراثًا أدبيًا ثمينًا للجيل الحاضر وللأبناء والاحفاد . خُذْ مثلاً أبياته عن « التقدير الباقي » في إجلاله للنزاهة حيث يقول :

واذا الودادُ دعا الصحابَ لحفلةٍ
لبستْ من الأُنسِ الجميلِ نضيرَا
واذا الهوى المُوفي فقد يُزري معًا
شرفٌ يزيد لربّهِ التقديرَا
ما كان تقديرُ الرّجال بمَظْهَرٍ
حتى ولو كانَ الزمانُ ظهيرَا
كلاّ . . . ولا كان الكمالُ بثروةٍ
لكنّه مُلْكُ النّزيهِ كبيرَا

الى آخر هذه الابيات القيّمة . ومن هذا القبيل وعلى سبيل المقارنة أبياته في « عظمة انجلترا » وقصيدتُهُ « لذّة الصعاب » وغيرها ، دعْ عنك ما يتخلل متنوّع شعرِهِ من أبيات خلقيّة تأتي

لمناسبات جميلة . وأجملُ من كُل ذلك انّ ناظمها مؤمنٌ بما يقول ويدعو اليه ، وأولُ من يطبقه على نفسه ، فليس من زمرة مَنْ يُقال لهم :

يا أيّها الرَّجلُ المعلّم غيرَه
هلاّ لنفسك كان ذا التعليمُ ؟!

وهذه القدوة الحسنة لها اعتبارٌ كبيرٌ عند الادباء الناقدين في تقدير شعره الصادق .

وفي هذا الديوان الممتع من القصائد والمقاطيع ما لا يدخل في هذه الأبواب ، ولكنه يمثل صُوَراً شتّى من حياة العصر بين جدّ وفكاهة ، مثل قصائده «الطريد» و « رشفة ككتيل » و «راكبة الدراجة » و « أشعة الظلام » وغيرها . فاذا تدبّرها القارئ بعناية الباحث الدارس كانت له منها لذةٌ وفائدةٌ غير قليلة .

ولا بدَّ لي في نهاية هذا البيان من كلمة عن الأسلوب ومن ملاحظة عامة على أنّ عنايتي الأدبية بنشر هذا الديوان ليس معناها موافقتي على جميع آراء الشاعر فيما طرقه من موضوعات ، فقد اخالفه في بعضها مخالفة صريحة ، ولكن معناها تقريري لشاعريته فحسب . إن اسلوب الاستاذ الدكتور ابي شادى يتنقّل

ما بين الرقة والجزالة والفخامة حسب مناسبات الموضوع الذي يطرقهُ ، وانّ اسلوبَه طوعُ شاعريته ، وليستْ شاعريتهُ طوعَ اسلوبه ، وانّه من أقدر شعرائنا على المعارضة الشعرية وإنْ لم يتعمدها موضوعاً ، وقد تأتي عفواً في ألفاظه . وله في ذلك آيات من الاعجاز تراها بالمقابلة ، فكأنما يلتذُّ أحياناً بأن يُعطي مثلاً في تحلّي الشاعريّة السامية بلباس مُعيَّن ، بينما قرينُ هذا اللباس على غيرها قد يكون عديمَ القيمة أو قليلها . ومن الغريب ان إبداعَه هذا بدل أن يكون موضعَ التأمل والتقدير كان موضع الحسد والنَّقد من بعض المحافظين الذين يجهلون أو يتجاهلون أصولَ النَّقد الشعري في أعزّ أيام العربية وبين الغربيين في عصرنا الحاضر ، ويتناسون انّ الانماط النظميَّة والأوزان والقوافي في العربية على الأخص ملك قديمٌ شائعٌ ، وانّما العبرةُ بالمعاني ونُور الشاعرية ، ولا يضير الشاعرَ الفحلَ اشتراكه مع غيره — عظمت ام صغرتْ مرتبتهُ — في بعض الالفاظ بينما المعاني مختلفة جدَّ الاختلاف ، وهذه براعةٌ واقتدار على التفنُّن في الاستخدام لا ينكرها غيرُ حسود . ويعجبني ردُّ الشاعر على هذا النوع من النقد التافه بهذه الأبيات الشائقة الأبيّة الرُّوح :

يامَنْ توهَّمَ لي شبيهَ سِراجِهِ
لِمَ لا تُضيءُ إذنْ بقوّةِ نوري ؟ !

هَوِّنْ عليكَ فما المظاهرُ وحدَها
تكفي، وما المنّانُ غيرُ فقيرِ!
واعلمْ أخي انَّ المشاعرَ دفعُها
للشّعرِ كالتّيار دفعُ قديرِ
فاذا تعلّق سابحٌ بملاذِها
- وهي العظيمةُ - لم تقف لحقيرِ!
إبداً بأنماطِ القريض مفنّداً
قبلَ الغلوّ مفنّداً تعبيري
أو فاتّخذْ من جرأتي وتفنّني
رغمَ اشتراكِ اللّفظ علمَ خبيرِ
خيرٌ لفكري أن تُداسَ يراعتي
إنْ فاتَ شعري الحرَّ وَحْيُ ضميري!

هذا هو الشعرُ الفنّي: شعرُ الوجدانِ وشعرُ النهضةِ بأشرف مظاهرِهِ وأسمى مراميه م؟

بالجيزة في ١٩ يوليو سنة ١٩٢٦ حسن صالح الجداوى



انتهت مقدمة ديوان « الشفق الباكي »

الشعر والشاعر

بحثٌ فلسفيٌّ

تمهيدٌ

قبل تناولي القَلَمَ لأخطّ هذه السطورَ سألتُ نفسي : « هل من جدْوى ؟ » ونظرتُ من شرفة حجرتي الى الأمواج الضاحكة في هذا اليوم الجميل وسمعتُ عتابَها الدائمَ وحديثَها الملْهِمَ والناسُ عن نجواها وعن حديثها وعن إلهامها وبثّها غافلون . . . فقلتُ في نفسي : « كأنّنا أبناءُ هذه (الطبيعة) الكريمة التي تحنّ بأبوّتها وأمومتها المشتركة الينا كما نحنُّ غالباً اليها ، وتحاول أن تتفاهم معنا فيُصغي اليها بعضُنا وينجح بعضَ النجاح أو كلّه في مواقف ، بينما يَبقَى سرُّها بل وجهرُها لغزاً مكتوماً عنا كما كان عن الاجيال السالفة وكما سيبقى لاجيال طويلة . . . فمن برّ البنوة أن أُحاول التخاطبَ معها والترجمةَ لبعض حديثها إقراراً بتقديري

لها وعرفاناً لجميلها عليَّ وارشاداً لاخوتي في الجنسية والانسانية أجل ، هذا فَرْضٌ على كلّ من يشعر بالقدرة على أدائه ، ولكني لا أشعرُ بهذه القدرة وانما أشعر بحنانٍ لا يُرَدُّ نحو هذه الطبيعة الجميلة الرائعة ، وبحاجةٍ الى التعبير عن هذا الحنان ، وعن بيان أسبابه ومبعث إلهامه . وقد أُخفقُ في محاولة التعبير ، ولكن عليَّ بأيّ حال واجبُ أدائه . وقبلاً حاول بعض المجتهدين ترجمة (**القرآن**) الكريم حُبًّا في نشر فضيلته وتعاليمه السَّامية فأخفقوا اجمالاً ومع ذلك أفادوا ، فليكنْ لي في أمثلة شجاعتهم وجهدهم عزاءٌ ومشَجّعٌ . . . »

بمثل هذه الخواطر شجَّعتُ نفسي على تناول القلَم الذي يجري مدادُهُ بهذه الكلمات . . . اني أُوقن أن الكون في تحولٍ مستمر، وانّ الفكر الانساني في تبدُّل وتطوُّر، وان ما نراه حسناً الآن قد لا يَرضى عنه جيلٌ مقبلٌ كما أننا لم نرضَ عن كثير مما استحسنه أسلافُنا ، ولكنّ كلَّ هذا لا يعني أنَّ جهدَنا عديمُ الجدوى ، ولن يُطالبنا العقلُ بأكثر من الوفاء لعصرنا الحاضر خاصةً ولجوهر الفكر الانساني عامةً . فلأَدُلْ اذنْ كلمتي هذه تلبيةً لدعوة صديقي النّاشر حتى أتحمل وحدي

عيوبَ العجز الذي لم يتجرَّد عنه نظيمي .

ما هو الشعر ؟

الشعرُ في رأيي هو تعبيرُ الحنان بين الحواس والطبيعة . هو لغةُ الجاذبيّة وان تنوّع بيانُها . هو أوحديٌّ الأصلِ في المنشأ والغـاية وصفاً وغزلاً ومداعبةً ورثاءً ووعظاً وقصصاً وتمثيلاً وفلسفةً وتصويراً ، فان مبعثَه اتفاعـلُ بـين الحواس ومؤثرات الطّبيعة ، وغايته العزاء والاحتماء بهذه الطبيعة ، وانْ تضمَّن أحيانا الغضبَ والسخط ، وما هو الاّ غضب الاطفال الصغار .

وقد يجوز أن نعرِّفه ماديّاً بأنه الجرافيكُ لنبض الحياة وسكونها كنظـيره المسجّل لدقات القلب ، أو كدليل البيانو الاوتوماتيكي تتحول سطوره المثقوبة الى نغمات ، وكذلك الشعرُ يتحوّل في النفس الى صورة مَنشئه من عواطف وفلسفة .

الحياةُ بأسرها مجموعة تفاعيل كيماوية حيويّة متشبّعة بالتموجات الـكهربائية المنتظمة ، والشعرُ منظوما كان أو منثوراً يحوي جرثومةَ هذه الحياة لانَّ فيه ذُخْرَ الـكثير من أسرارها ، وأكثر طربنا للشعر المنظوم لأنه جامعٌ بين فلسفة الحياة وطُرَفِ من

تموّجاتها بأوزانه ، فنحنُّ بالغريزة اليه كما نحنُّ الى الموسيقى الفنّية ، وكأن كليهما صورةٌ من حياةٍ تجذُبنا برونقها والهامِها ، ونحنُّ الى غناء الطيور المغرّدة حنينَ الشعرِ الى الشعرِ !

الغرض من الشعر وتدوينه

الاصلُ في الشّعر كما قدّمتُ أن يكون تعبيراً غريزيا للتفاعل ما بين حواس الانسان والطبيعة ولا يزال لهذا الشعر أمثلةٌ جميلة تأتي عفواً في أحاديثنا وكتابتنا ، وفي الشعر المُرْتَجَلِ الذي ينطقُ به اللسانُ على الفور أمام مشهدٍ مؤثرٍ أو بدافعٍ وجدانيٍّ قويّ . ويسمَّى هذا الشعر خطأً بشعر الالهام ، وما هو الاّ شعر الفطرة الصادقة ، فما الالهامُ سوى أثَرِ الخبرة والعرفانِ والمواهبِ في الذّهن ، ولا شأن له بأُعجوبةٍ ملكية أو شيطانية ، ولا بالوحي المزعوم .

ولمّا أخذ الانسانُ بأسباب الحضارة أدرك تدريجيًا قيمةَ الشّعر كعاملٍ من عواملِ القوّة لما تبيّنَهُ من أثرهِ الفعّال في النفوس ، فاستخدمه في مآرب شتى لخدمة الحياة اختلفتْ سمواً وانحطاطًا حسب الاجيال والاوساط والبيئات .

فأسمى ما بلغه الشعرُ أخيراً من غرض انَّما هو درسُ الحياة وتحليلُها وبحثها واذاعةُ خيرها ومكافحة شرّها ، وهو غرضٌ نبيلٌ جامع وإنْ تكيف بصوَرٍ شتى ، فقد يظهر في لباس الانسانية العامة ، أو في لباس الجامعة القومية ، أو الجامعة الدينية أو غير ذلك . ومن المعقول ان يجمع بين لباسين فأكثر ، وأن يوفّق ما بين تناقضها الموهوم ، وأن يكون رسولَ السَّلام ونصيرَ الاصلاح والنهوض . هذا هو الغرَضُ الأسمى الذي بلغه الشّعرُ عامةً في جيلنا الحاضر في أرقى مواطنه ، ولن تجده قرينَ اللهو المحض فان وجدته فحاسبْ ظنَّك ترَ أنَّه مبجلُ الفنّ الذي تحسبهُ لَهْواً ، أو معبّرٌ عن إحدى العواطفِ الانسانية الدقيقة المحيّرة أو فيلسوفٌ باحثٌ يتلمَّسُ الحكمة ويفتّشُ عنها في جميع مخابئها .

ولقد أصبح الشعر يُعَدُّ أهمَّ أركان الأدب الألباب ، ومنزلتُه من التّبْجيل مقترنةً بغرضه الجليل ، فمن الأمانة أن لا نُغفلَ هذا التعريفَ حينما نبثُّ روحَ الشعر في نفوس المتأدبين ، حتى نحفظَ للشعر مرتبتَه الممتازة ، وحتى نوجهه دائماً الى أشرف الغايات .

وقد عُني الانسانُ بتدوين الشّعر منذ استطاع التدوينَ وبحفظِهِ وروايته قبل ذلك كما يحدثنا التاريخ ، ولو تأمّلنا لما أدهشتْنا هذه

العناية اذا سلمنا بأنّ الشعر مُثلٌ من الحياة وأنواعٌ من مقاييسها فهو قطعٌ جذّابةٌ من الانسانية الفكرية تغارُ عليها وتودُّ هذا البقاء بحكم الغريزة المقرونة بحبّ البقاء . ولذلك أعتقدُ أنه ما من شِعْرٍ يخلو منْ حسنٍ ، وانّ جُحودَ حسنات الشّعر بحكم التّحاسد والمناظرة عاطفةٌ غيرُ شريفة وغيرُ طبيعية ، وذلك اذا اعتبرنا انّ من خير أحكام الطبيعة تشجيع الصالح ونصرته والاعتراف برتبته .

صفات الشاعر

غيرُ مُستكثرٍ في نظري اذا عُدَّ كلُّ شاعر (بالمعنى الا كمل) رسولاً في قومهِ . فالشاعرُ بفطرته ـ ولا مجالَ لفخرٍ بما هو من صُنعِ الطبيعة ـ يجبُ أن يكون حسّاساً ، سريعَ التّلبيةِ ، يقدّرُ مسؤوليته العامة ويقومُ بأعبائهـا . وبَدَهيٌّ أنّ الطبعَ كثيراً ما يأتي من التطبّعِ كما يأتي عادةً من الفطرة ، فخليقٌ بالشّاعر أن يكون أوّل ناقدٍ لنفسهِ وأن يزنَ بنفسِهِ حسناتِهِ وعيوبَهُ ، وأن يكون المهذّبَ الأوّلَ لمواهبهِ ووجدانِهِ ، ثم يقوم بأداء رسالته . وفي الحيـاة من شتى المقاصد الجِدْية ومن الأساليب للدعوةِ والأداء ما يسعُ جهودَ الكثيرين ، وإنّه لفقيرٌ ومسكينٌ ذلك المجتمع الذي يُغْنى بشعراء معدودين وتكسد فيه سوق الأدب عامةً !!

معقولٌ ان ينشدَ الشاعرُ العاملُ البصيرُ بمسؤولياته منزلةَ الشهرةِ حتى يُصغي الجمهور اليه ، فلاتذهبُ صيحتهُ وجهدُه سدًى ولكنّه غيرُ مشرّفٍ وغيرُ معقولٍ أن يتصدّى لغيره ويحرمهُ من نظيرة هـذه الشهرة ، وليس من الأمانة في شيء أن يستغلَّ هذه الشهرةَ ـ متى بلغها ـ في سبيل مجده الشّخصي الزائل ، بدل المجد الفنّي الخالد ، كأنما يتوهّم أنَّ الموتَ سيُخطئه ، أو أنه أسمى من ترجمان اذا ضاعتْ أمانتهُ وزالتْ الثّقةُ به تزعزعت منزلته ثم تهدّمتْ . . . فتتبعُ ذلك ـ للأسف الوافر ـ الاساءةُ للأدب نفسهِ ، باصغار النـاسِ لمن كانوا يتصدّرون مجالسَهُ من طُلاّبِ المجدِ الشخصي .

بيان الشاعر

اذا كان الشاعرُ رسولَ قومهِ حقاً فيجب عليـه حتماً أن يكون بيانهُ من بيانهم ، ومهما تأنّقَ في تعبيره فيجب أن لا يرتفعَ صوتهُ فوق مستوى آذانهم ومداركهم ، والا كان غريباً عنهم ، ولم يرضَ عنـه لا خاصّتهم ولا عامّتهم ، فتضيع مكانتهُ ويخسر الأدبُ والمجتمعُ بخسارتهِ . على أنَّ هذا لا يعني تحبيذ العامية ـ وان كانت لها حسناتٌ كثيرة لا تُنـكر ـ وانما يعْني اجتنابَ التَّقعُّرِ وغريب

التعابير التي لا توافق ثقافتنا العصرية ، ولا تناسب أمزجتنا المصرية واستعمالَ الفصحى السلسة وتطعيمها بالمختار المصقول من مفرداتنا وتعابيرنا القومية . ولستُ أشكُّ في أنه كلما نُشر العلم كانت العربية السليمة أقرب الى متناول الجمهور ، فنحافظ بذلك على ذخيرتنا الأدبيــة العظيمة العربيّة الأصل ، دون أن نغفل مطالبَ قوميتنا الحاضرة ، ودون أن نغالبَ جاذبيّة الأدب الأوربي لنا. وهذه نظرةٌ تشبه نظرةَ الامريكيين الى الأدب الانجليزي ، فلـكل من الامتين الانجليزية والامريكية أدبُها الخاص ، بل وطابعٌ لغويٌّ خاص ، ولـكنَّ الرابطةَ اللغويّةَ العامةَ محتفظٌ بها ، وميزتُها موضع الاعتراف بها والحرص عليها . ولـكلّ امةٍ من الامم الاوروبية لغتها الفصحى ولغتها العامية ، ومع ذلك فلم تعتبر احداها من وسائل الثقافة هجرَ الفُصحى الى العاميّة ، وانما يُرجَعُ الى العامية أحياناً لمؤازرة الفُصْحى اذا دعت الحاجةُ الى ذلك ، وشتّان بين الحالتين ، فالاولى تـكادُ تكون قَطْعاً لـكلّ صلة بميراث الماضي ، بينما الحالة الثانية إحكامٌ لروابطِ الماضي بالحاضر ، وضمانةٌ للمستقبلِ الغنيّ بميراثه المزداد . وتوجد حالةٌ ثالثـةٌ هي في حُكم العدمِ ، وهي محاولةُ الاكتفاء بذلك الميراثِ الفخم ، وانْ صغرَ في جانب عُلومِ العصر الحاضر.

وآدابهِ ، وهي حالةٌ لا تستحقُّ الالتفاتَ اليها لأنَّ الفشلَ التَّامَّ مُقدَّرٌ لها ، والذي يريد أن يقبر فكرَه ونغته في قرون الماضي انما يحكم على نفسه بالفناء ، ويعارض أقوى قانون في العالم وهو قانون التطوُّر . أضفْ الى ذلك انَّ هذه النزعةَ تعارضُ كلَّ المعارضة الفكرةَ القوميةَ التي هي أجلى وأبهى مظاهر النهوض السياسي في القرن العشرين ، واذاً فهؤلاء السادة الرجعيون هم والمتجرّدون سواء . ومع احترامي لحرّية الرأي اصرّح بأني لا أرى الخيرَ المأمولَ من أحد الفريقين ، ولن تطاوعني مبادئي في مشايعة أحدهما في تطرُّفه .

فالشَّاعرُ القوميُّ — كيفما كانت عقيدته وملته — محتَّمٌ عليه أن لا يغفلَ الماضي وان لا يكون من المتجرّدين ، فانّ التجرُّدَ في نظري ليس من مستلزمات التطوُّر أو التجديد ، بل قد يكون من أضداده .

ومن الحقائق التي لا يجوز انكارُها انَّ الأدب العربيَّ مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بالدين الاسلامي ، فالامُ العربيةُ الاسلاميةُ لا تستطيع أن تهدمَ الأدبَ العربيَّ الصَّميمَ دون أن تسيءَ الى ذلك الدين الذي يُعدّ (**القرآن**) الشريف في رأي تابعيه أكبرَ

معجزاته . . . بيْدَ انَّ الشاعرُ ليس إمامًا دينيًا ، وان كان من وجهةٍ اخرى مطالبًا في الشرق بأن يعتبر الدّينَ من المشخّصات القومية لامّته ، فليس له أن يتعمَّدَ التعرُّضَ لهذا الدّين باساءةٍ لن يَجْني الأدبُ من ورائها خيراً . على أن هـذا لا يعني أنَّ صَبْغَ اللغة العربية بصبغةٍ وطنيةٍ سواء في التعبير أو التصوير مما يُسيء الى هـذه اللغة أو يضعفها أو يجني عفواً أو عمداً على رابطتها الدينية ، طالما حافظنا على الأساس . وهذا هو اعتقادي في « تمصير » اللغة شعراً ونثراً بمختار المفردات ، مع المحافظة جهد الاستطاعة على شرف الديباجة العربية السليمة . وفي مثل هذا الاجتهاد خدمةٌ قومية كما أنه لا يُفقر اللغة ، بل على النقيض يغني مفرداتها وتراكيبها ، ويساعد على تمييز صنوف الشعر والنثر في أقطار شتى ، ومهما كانت ثروة اللغة فهيهات أن تستغني عن النماء المطّرد من كل جيل تمرُّ به .

ومثلُ هذا النشاط يستدعي تكوينَ أكاديميات أو مجامع لغوية في الأقطار العربية ، لهـا وحدةٌ في مقاييس الترجمة والاشتقاق والابتداع والتنقيح والتهذيب حسب مقتضيات العصر ، ولها منزلة الارشاد والجمع والنشر ، فيستفيد منها الشعراء والـكتاب على السواء ، وتكون حكمًا حكيماً بين التطرف الهادم وبين الجمود المميت ،

فتمنع العبثَ بتراث الماضي المجيد ، وتشجّع الحركةَ الرشيدة للانتاج المستمرّ ، وللاقتطاف من ثمار وأزهار المدنية العصرية ، ولا تعارضُ النهضات القومية .

والعادةُ أن يكون بيانُ الشاعر صورةً لمزاجه وفكره ، وأن يكون أكثر الادباء رغبةً في الحرية ، فمن الحكمةِ إطلاقُ العنان له في حدود واسعة ولو خالف السماع والقياس أحيانًا ، فانّ الشاعر الامينَ الكبيرَ النّفْس لن يُسيء استعمالَ هذه الحرّية في مرماه ، وكثيراً ما يكافيء ناصريه بكنز ثمين من تعبيره وتفكيره وخياله أكبر من أن يُعدَّ جزاءً وفاقًا ، ومن لا يعرف من الادباء حسن التصرف فانما يجني على أدبه الخاص قبل أن يجني على الأدب العام.

وقد يُلامُ الشاعر المبدع على خياله الشرود ، وما الخيالُ الا دليل من أدلة التهافت من النفس الشاعرة على الطبيعة الموجدَة ، فلا تزال تتلمَّسُ الصلَةَ بها في كل شيء ، وتحاول التقريب بين عواملها ونتائجها المتباينة في ظواهرها . بل قد يُعدّ الخيال رابطةَ الوَحْدة بين عواطف الشاعر والطبيعة ، ولذلك يصح أن يُعرّفَ الخيـالُ بأنّه من رُوح الشعر .

بهذا اليقين والشُّعور جرى قلمي أو تحرك لساني أو غمغمت نفسي

ثم باحتٌ بما في هذا الديوان من منظوم السطور ، وما هي بالاولى من بنات وجداني الذي عرف النظمَ منذ الطفولة ، ولا هي بالبالغة بعضَ ما أصبو اليه من خدمةٍ فنيةٍ ، ولكني أرجو كذلك أن أكون موفقاً لإتباعها بغيرها وبأصلح منها ، فلا تكون الأخيرةَ في بابها .

وقبل أن أختمَ هذه الكلمة الوجيزة اودُّ أن أصرحَ في غير تحفُّظ انَّ الزمنَ الذي كان يُفصَلُ فيه مابين العلم والحكمة والأدب قد مضى وانقضى ، وأصبح الشعرُ في أجلّ مظاهرهِ الديوانَ الرحيبَ الجامعَ لها ، والعقيدةَ التي تتوحدُ فيها . هذا هو مذهبي الذي أأتمُّ به ، وفي سبيله احاول — بين شواغلي الكثيرة — أن أخطو الى الامام خطوات الايمان ؟

بور سعيد في ١٤ يوليو سنة ١٩٢٦

أحمد زكي أبو شادي



هدم الأدب وبناؤه

تمهيد

لا أذكر أنّي كتبتُ فصلاً تمديياً نال استحساناً شبهَ جامع بين جمهرة الادباء مثل فصل « الشعر مرآة عصره » الذي ذُيّلت به قصة (عبده بك)، وأحسب ان ذلك راجعٌ الى اهمية الموضوع ثم الى روح المقال، فقد كان مُشْبَعاً بحبّ الانصاف، والى النهج العلمي المنطقي الذي لم أتحوّلْ عنه قيدَ أنملةٍ فيما كتبتُ والذي هو رائدي دائماً ورائد صديقي الشاعر. ولكنّي قدَّرتُ ـ كما قدَّر غيري من الادباء المستقلّين ـ انَّ المغرضين لن يرضوا عنه، وأنّه لا بدّ أن يتقدَّم أحدُهُم مسوقاً الى المغالطة انْ عاجلاً أو آجلا. وهكذا كان القضاء الذي لا مردَّ له، فتقدَّم متبرقعاً أحدُ أذناب شوقي بك بمقالٍ مرذول كلُّهُ سماجةٌ ومغالطةٌ، ودفع به الى جريدة (الكشكول) التي يتردّد على ادارتها يومياً شوقي بك وأصحاب شوقي بك . . . ولا لوم على (الكشكول) الأغر في ذلك، فحرّية النشر أمرٌ محمودٌ، وتشجيعُ النقد الأدبي واجبٌ صحفي شريف،

طالما وُجدتْ المساواةُ الصحفيّةُ في معـاملة المتناظرين . أمّا اذا أُبيح النَّقدُ وانْ كان سخيفاً ، وحُرّم الردُّ وان كان حكمةً وأدباً فهذا هو الغرضُ بعينه ، وهذا هو التعاونُ على التضليل ، وهذا هو حبُّ الاساءة والتشهير لغاية في النفس ، ونعوذ بالحقّ أن يـكون هذا من النقد الأدبي او من الشهامة والفضل في شيء .

للعبرة والتاريخ

أما المقالُ الشَّوقيُّ السالف الذكر فهذا هو بنصّه وفصّه ، وان كان لايستحقُّ التشريفَ بنشره ، ولـكن لايخافُ النَّقدَ كيفما كان الاّ العاجزُ العاثر ، فحسبنا اذاً أن ننشره وأن نعلّق عليه من عندياتنا ومن ملاحظات شاعرنا الذي أعدُّ من اكبر عيوبه مغالاته في حسن الظنّ بالناس [١] ، ومن ملاحظات غيره من الادباء الذين أسفوا لظهور ذلك المقال ، وحسبنا ايضاً أن نسجّله لفائدة المؤرخ الأدبي غداً ، حتى يقدّر كيف انَّ شاعراً كبيراً ذا منزلةٍ معدودةٍ مثل شوقي بك كان مُصاباً بمرضٍ مزمنٍ هو الحسدُ والغَيْرَةُ حتى من أخلص محبيه ومعضّديه ومريديه ، وأنه ما كان يحتمل مودّتهم

(١) راجع ردّه في مجلة (النهضة النسائية) — عدد صفر سنة ١٣٤٥ هـ . وفي جريدة (الكشكول) عدد ١٣ اغسطس سنة ١٩٢٦ م .

متى ظهروا ظهوراً في ميدان الأدب بجانبه .... !! قال كاتبُ المقال المتخفي ولعلّه مولانا « قدامــة » ذاته أوابنُ عمه : ـ

كتبنا الجديدة

عبده بك

اصاحب التوقيع

قصة مصرية اجتماعية منظومة بقلم الدكتور أحمد زكي أبو شادي. والدكتور زكي ابو شادي هو نجل المرحوم أبو شادي بك . عرفناه لعشرين سنة شاباً يكتب مقالات في جريدة « الظاهر » في شؤون اجتماعية ووطنية جمعت في كتاب . ولسنا ندري أهو لا يزال معجبا بها كما كان يوم طبعها واذاعها أم زالت عنه جدتها وصارت « روبافكيا » يأنف من الاشارة اليها الى جانب مؤلفاته من نثر ونظم ؟

ثم سافر الى انكلترا فتعلم الطب . وعاد فقال لنا انه درس الى جانب وظائف الاعضاء وخصائصها وأدواتها فن النحل. فهو اذن دكتور في الطب ، واستاذ في اشتيار الشهد المصفّى. ورحم الله ابن حجة الحموي ...

وبعد أن سكت سنوات ظهر لنا شاعراً مكثراً . ينظم في كل موضوع ، ولكل مناسبة ، مفيضا مسهبا . فان لم يجد المناسبة خلقها ، وان لم يتمكن من خلقها أوجدها له جماعة من الانصار والمحبين لا يقنعون بان يكون الدكتور شاعر الشباب والمجددين فحسب ، بل يريدونه شاعر مصر والدنيا والآخرة معا .

وآخر ما جادت به قريحة الشاعر الدكتور النحال منظومة « عبده بك » وهي كما وصفها أحد أنصاره :

« . . . مبحث طلي في علل الزواج عقد له (عبـده بك) ثلاث زيجات: ثنتان مصريتان وواحدة أجنبية ، فشل في الاولى لسوء الاختيار ولنقص في تربية (منيرة) ولاسرافها ونشوزها فطلقها بعد ما استولدها غلاماً . ثم

وقع في شرك (ماري) بواسطة سماسرة السوء . كلتا الوقعتين دلت على ضعف ارادة الزوج التعس .

« وحصل نفار وشقاق » فانهار بيت الزوجية كالاول ، لانه غير مدعم بمقومات الائتلاف ، فهدمه الاختلاف .

« ثم أتاح له حسن حظه زيجة ثالثة فكانت الاخيرة . وفي الحق انها كانت بلسما لجروحه ، ومستقراً لروحه ، فجثم حيث نعم ما شاء الله أن ينعم»

و « توته ، توته فرغت الحدوته » ، ولكنها والله أعلم بعيدة من صنف « الحواديت » والروايات والاقاصيص والاقصوصات ، اذا اردنا مقارنتها بشيء من عالي القصص وسافلها وطيبها وخبيثها مما يتجلى فيه الفن أو لا يتجلى ، وما يكتبه القصاصون الافرنج وكتابنا الشباب .

أما كونها شعرا فليس فيها منه الا القافية والروي ، وبضع أبيات منثورة هنا وهناك ، يشفع في اخطائها وابتذالها انها تصف الحقيقة ويدخلها شيء من حلاوة العبارة المصرية كقوله :

حسبي وحسبك مسعدا ... سمي من (الحاجة حليمة)

فلها بكل بيوت (مصر) ... علاقة الود القديمة

ويقال (مصر) كحلة ... ومثالها كالمغرفة

فلها اطلاع واسع ... ولها اختبار المعرفة

ولكن الى جانب هذا الوصف الطيب أبيات لا نعرف ان كانت عربية أو كردية نثرا أو نظما مثل قوله :

فغدا (فريد) (عبده) ... وكذا غدا هذا (فريد)

في الحس والاخلاص والـ ... تفكير والنجح الاكيد

وقوله :

لولا حبيب غائب ... لكن أعيد لوالده

والقصة كلها بصورها ونقوشها وحلاها مكتوبة مبرقشة في مالا يزيد على ٢٥

صفحة صغيرة . هذه لا تكفي أن تكون كتابا . ولكن حسن افندي صالح الجداوي « مطيب أبي شادي » أراد أن تكون القصة كتابا فأصدرها كتابا في ١٣٠ صفحة محيطا القصة بمقدمات وتعليقات وشروحات دونها شرح « البيم » للاستاذ حلمي عيسى .

فبعد مقدمة الجداوي المنشورة في ست صفحات أبان فيها كرامات الدكتور ابي شادي جاءنا « الكاتب العبقري المجدد الاستاذ عبد القادر عاشور » بفصل عنوانه « القصص في الادب العربي » كانت « قفلته » : « للشاعر النابغ الاستاذ أحمد زكي أبي شادي فضل السبق في الشعر القصصي الاجتماعي الذي تهارب منه شعراؤنا مع انه من أروع الامثلة لتمثيل المجتمع وانعاشه » .

وبعد القصة فصل عنوانه « تحليل القصة » بقلم « الاديب المتفنن والناقد المعروف الاستاذ عبد الله بكري » ففصل آخر عنوانه « نقد قدامة لشاعرية أبي شادي » ، وآخر في « شاعرية أبي شادي وأمثلة القول الجامع بقلم الاستاذ عاشور » ملأه بنماذج من شعر الدكتور النحال . ومنها قوله :

ان الفواكه للمذاق شهية ... مثل الغناء اذا اشتهاه شعور
وكذلك الفردوس في أحلامنا ... وهم وغاية ما احتواه غرور

وقوله :

ومن رتبة الانسان حرية الحجا ... وما هان قوم في مدى البحث اخفقوا

وقوله :

المرأة الحسن الاعز بحسنها ... من دام عاشقها أميت شهيداً !

وقوله :

فكم يبصر الضفدع في العيش مثالا ... تآلف طير الغاب : شاد وأبكم

وربما كان أحسن ما في الكتاب فصله الختامي وهو « الشعر مرآة عصره » وقد تعرض فيه الكاتب لشعر شوقي بك فقال في تقدمه :

١ — ان شوقي بك ارستقراطي النزعة ، وقد تربى على الاخلاص للحكم المطلق .

٢ — انه لم يشارك جمهور الشعب مشاركة جدية في عواطفه ولم يشجع قوميته .

٣ — انه هادم للتعاون الادبي ، ذو أنانية عظيمة .

٤ — انه حبا في نيل تصفيق الاغلبية المحافظة كثير التملق بالماضي ولو ناقض تربيته وخالف ضميره .

٥ — انه غالبا لا يتصف بعصره ، لا في تعبيره ولا في تفكيره .

ومع أن الكاتب قد عمد الى تأييد رأيه بشواهد من شعر شوقي فان أقواله لا تزال في حاجة الى التمحيص .

هذه هي قصة « عبده بك » وحواشيها . وللقاريء بعد أن يقرأ هذه الخلاصة أن يحكم على المقصود من المجموعة ونخالف كتابها على اعلاء انفسهم واشهار شاعرهم بالحط من مقام غيره .

« الفرّا »

سياسة الهدم

فمن هذ المقال يستنتج القاريء انَّ كاتبَه المتنكر :

(١) يحاول الحطَّ من منزلة وشهرة الدكتور ابي شادي بتعريفه عن طريق نسبه الى قارئيه الذين هم في غنى عن ذلك التعريف ، بينما يناقض الناقدُ نفسه فيما بعد باقراره انَّ شاعرنا بلغ منزلةً مذكورةً من الشهرة لدى الجمهور .

(٢) يسخر من اُولَى آثار شاعرنا أو من منتجات طفولته الأدبية (١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ م .) في الوقت الذي كان أمثال الناقد

بين البُكْم والصُمّ الذين لا يفقهون ولا يستطيعون أن يخطّوا حرفاً مما كتب. وقد صدق شاعرُنا في قوله إنَّ الأديب لا يُسأل عن آثار طفولته الأدبية ولا يحاسب عليها ومع ذلك فانه لا يخجل منها، وانما الذي يُخجله أن يغدو يوماً لا قدّر الله رجلاً حائراً متقلّباً لا مبدأ له، يدور مع الهوى وينصر الظلم ويبيع ذمته.. فنعمت الاجابةُ المفحمة في هـذا الجواب لمن يسائله عن آثار قلمه وهو في منتصف العقد الثاني من عمره ويـكاد متبجّحاً يسائله ايضاً عن انشائه المدرسي....!!

(٣) يهزأ بدراسة شاعرنا للأبقلطوريا (علم تربية النحل) ويصفه ساخراً «بالدكتور النحّال»، ولـكنَّ جاهلاً أُميّاً مثل استاذنا الناقد معذورٌ اذا لم يعلم انّ كبلنج شاعر الامبراطورية الانجليزيه شاعرٌ نحّالٌ، وانّ ماترلنك شاعر بلجيكا العظيم نحّال أيضاً، وانّ پوانـكاريه رئيس وزراء فرنسا حالاً ورئيس جمهوريتها سابقاً نحّالٌ كذلك، وانّ عمانوئيل ملك البرتغال السابق مثلهم، وانّ غيرهم وغيرهم - من كبار رجال الغَرْبِ ونبهائه - من محبّي الطبيعة ودارسي حشراتها ونباتها ولهم ولعٌ شديد بذلك، وانّ علم الابقلطوريا من أشقّ العلوم ومن أعظمها ثمرةً اقتصادياً وتهذيبياً،

وانّ المتضلّعين منه موضعُ الاحترام في الدوائر العلمية الغربية ، وان شاعرنا ذو منزلة ممتازة في هذا العلم يحقُّ لنا أن نفاخر بها من وجهة قومية ، — فقد كان المؤسّسَ لنادي النّحل الدَّوْلي المعروف باسم The Apis Club ، وانشأ مجلة عالم النّحل The Bee World التي ليث يتولّى رئاسة تحريرها سبع سنوات بالانجليزية ، وكان أحد أعضاء اللجنة الاستشارية لوزارة الزراعة الانجليزية .

(٤) يبزأ به مُغالطاً وعامداً الى النكتة العامية القبيحة فيشير الى دراسة « وظائف الاعضاء وخصائصها » ، ومثل هذه الاشارة لايجوز توجيهها لرجل نقيّ الاخلاق كريم النفس مثل الدكتور ابي شادي ، وانْ جاز لحضرة الناقد أن يوجهها الى المصدر الذي يستوحيه عند ما يكتب ذلك الهذر . . . فهو يعلم علمي انّ الدكتور اباشادي اختصّ بعلم الميكروبات أو البكتريولوجيا ، وله نبوغٌ حقٌّ فيه ، فهو يحمل جائزتين وشهادتيْ شرف في هذا العلم من جامعة لندن ، ومضى عليه في اختصاصه به احد عشر عاماً بل اكثر ، تقلّب اثناءها في وظائف ذوات مسؤولية خطيرة ، وكان أحد البكتريولوجيين بمعهد مستشفى سانت جورج بلندن وأحد المعيدين لطلبته ، وكان معملهُ الخاص بايلنج في لندرة ، وكان بمعهد الهيجين بمصر ، ثم مديراً

لمعمل الحكومة بالسويس متحملاً مسؤلية كبرى في مراقبة ومنع الكوليرا ، وهو الآن مديرٌ لمعمل الحكومة ببور سعيد شاغلاً مركزاً فنيًا لا يُستهان به علمياً وقومياً .

(٥) ادّعى لائمًا انَّ شاعرنا سكت سنوات كثيرة ، وهذه مغالطةٌ ، فالدكتور ابو شادي معروفٌ منذ نشأته بنشاطه الجمّ ، ولو شئنا أن نُغفلَ المفقودَ من آثاره الادبية اثناء وبسبب اغترابه عن وطنه لما جاز لنا أن ننسى مراسلته « للمؤيد » « فالشعب » « فالأهالي » وغيرها من كُبريات صحفنا ، دعْ عنكَ آثاره في مجلات شتّى في مصر وفي صحف انجلترا ، ومجهوده القلمي السياسي ـ ظاهراً ومستتراً ـ مما لا يجهله رجال القلم وأئمة السياسة في مصر ، حتى كاد يُنفَى من انجلترا ، وقُيِّد اسمه في قلم المراقبين السياسيين ببوليس لندرة (اسكتلند يارد) ، وكان سكرتيراً (**للنادي المصري**) بلندرة ، وسكرتيراً (**لجمعية ترقية آداب اللغة العربية**) بها . فهذا النشاط الدائم لايمكن أن يوصم عدلاً بالتقصير ، اذا لم يُتَّخذ مضربَ الامثال في الغَيْرة الأدبية والقومية والنزاهة الخُلُقيَّة المتينة . ولكن ألم يقلْ

قديماً الشاعرُ الحكيمُ :

واذا أرادَ الله نشرَ فضيلةٍ
طُويتْ أتاحَ لها لسانَ حسودِ ؟ !

(٦) زعَم انّ أنصار الشاعر ومحبّيه «لايقنعون بأن يكون شاعر الشّباب والمجدّدين فحسب ، بل يريدونه شاعرَ مصر والدنيا والآخره معاً » . وهذا مدحٌ في قالب ذمٍ لو أدرك حضرة الناقد القادح . فليس هؤلاء الانصار والمحبّون على درجة من البله لاتسمح لهم بأن يفقهوا مواهبَ الشاعر ووجوب استغلالها لنصرة الأدب. وهذا سعيٌ حميدٌ لا يستحقون لوماً عليه الاَّ من الاناني الحسود .

(٧) ذكر في معرض النقد انَّ الدكتور ابا شادي « ينظم في كلّ موضوع ، ولكلّ مناسبة ، مُفيضاً مسهباً ، فان لم يجدْ المناسبة خلقها ، وانْ لم يتمكن من خلقها أوجدها له جماعةٌ من الأنصار والمحبّين الخ » . ولا أدري متى كان الانتاجُ معيباً ، ولا وجه اللوم في ذلك ، لاسيما وللشاعر من ظروفه الخاصة ما يبرّر هذا الاكثار . . . ؟ ! وهل نضمن دوامَ انتاجه أو طولَ حياته (مدَّها الله) حتى نحاول اخمادَ شاعريته في شبابه ؟ ! وهل جهل حضرة النّاقد انَّ الشعر المنظوم أقربُ الى جنان وبنان هذا الشاعر

المطبوع من منثور القول ، وانّ مجموع ما نشر له ـ ولا أستثني هذا الديوان ـ لا يتعدى جزءاً من نظيمه ؟ فذهنه اذاً مفطورٌ على الشعر، وشاعريته في المقام الأول بين مشاهير شعراء العصر في العالم العربي. وهو في غنى تام عن انتهاز المناسبات ، ولا اغالي اذا قلت عن علم وخبرة انه أطبعُ شعرائناء وأن الشعر رُوحُه وريحانُه، ولولا حياؤه لارتجله ارتجالا في المجالس ، كما يفعل أحيانا بين خاصّة أصدقائه.

(٨) حاول أن يُصغر من قدر قصة (**عبده بك**) :

أولاً — من وُجهة موضوعها كأنما لا يرضيه الاّ الموضوع المعقَّد وكأنما نسيَ انّ السيرةَ الطويلة ـ كسيرة نابليون مثلاً ـ يمكن تلخيصها في سطرين أو ثلاثة ، فليس التلخيص الوجيز اذن دليلاً على الحقارة حتماً . وكان الواجب عليه أن ينقد الموضوع ذاته ، ولـكنه لم يجْرُؤ على ذلك ، فحاول الاصغارَ من شأنه بالمغالطة ، بدل الدليل الفَنّي والنّقد التحليلي المقبول ، لو كان ذلك في طاقته . . .

ثانياً — من وجهة الاسلوب فقال :« . . . ولـكنها والله أعلم بعيدة عن صنف الحواديت والروايات والاقاصيص والاقصوصات اذا أردنا مقارنتها بشيء من عالي القصص

وسافلها وطيّبها وخبيثها ممّا يتجلى فيه الفنُّ أو لا يتجلى ، وما يكتبه القصّاصون الافرنج وكتّابنا الشباب » . . .

وهذا نقدٌ مبهم ، أقلُّ ما يقال فيه إنه هذيان في هذيان ولو أنَّ فيه مدحاً للشاعر من حيث لا يشعر حضرة الناقد فهو يعترف بانَّ شاعرنا مبتدعٌ لاسلوب جديد ، ولكنه لم يقل لنا في صراحة ومنطق ماعيوب هذا الاسلوب بالتحليل والمقارنة ، حتى كنا نستفيد حقاً من نقده . وهذا عجزٌ منه نسجّله عليه .

ثالثاً — من وجهة شاعريّة الشاعر حيث ادَّعى أنه « ليس فيها الاّ القافيـة والرويّ وبضعة أبيات منثورة هنا وهناك يشفع في انحطاطها وابتذالها أنها تصف الحقيقةَ ويدخلها شيءٌ من حلاوة العبارة المصرية » . . . ثم خانه القلم بالحق بعد استشهاده ، فقال عما نقله أنه « وصفٌ طيّبٌ » . . . ! ! وقصيدةُ الدكتور كما لا يخفى على القاريء مصبوبة صباً ومتجرّدةٌ من القافية الواحدة ، وكلها تحليلٌ لأخلاق وشخصيات ، ووصفٌ لحوادث وعادات وأمراض اجتماعيـة ، وملؤها المواعظ والاستنتاجات

الفلسفية الجميلة ، والتشابيه والنكات المستملحة ، فلن تجدَ فيها بيتاً يمكن الاستغناء عنه ، لأنها وَحْدَةٌ تامةٌ متماسكةٌ أشدّ التماسك . وقد أجهدَ حضرة الناقد نفسه اجهاداً فأخرج أربعة أبيات لم يرض عنها ، فكان هذا مغالطةً عجيبةً منه لانها أبياتُ صلةٍ لا يمكن القدح فيها الا كما يقدح المغرضُ في مظهرِ أحجار قليلة في بستان شائق. وهذه الأبيات سليمة النظم ، وفي مواضعها من أنسب وألطف ما يُنْظَمُ ، ومثالُ الايجاز البديع . ولو أنصف الناقدُ لتحدّث عن قوة التحليل الذي امتاز بها نظمُ شاعرنا المبدع ، وعن محافظته التامة على العلاقة بين أسباب ونتائج قصته ، وعن اقتداره في الجمع بين الايجاز والاسهاب حيث يشاء .

رابعاً — من وُجهةِ الدّيباجة ، كأنما لا يدرك حضرته أنّ المقصود بهذه القصة البليغة الذّيوع فالاصلاح ، وأنها لو كانت فيديباجة (**عمرية**) حافظ بك ابراهيم مثلاً لجاءت مثالاً للسخف ومثالا مستهجنا لوضع الشيء في غير موضعهومخالفة قواعد البلاغة .وقد صدق شاعرنا:

في قوله أنه لو طاوعه قلمه على كتابتها بالعامية لما توانى عن ذلك . وفي رأيي أن اسلوبها هو من السهل الممتنع ، تحسبُهُ نثراً وما هو الاّ شعر منظوم ، كما قال الاستاذ عبدالله بكري . وما أنسب قول شاعرنا في هذا المقام :

«الشعرُ ألفاظٌ ترصُّ وإنما
الشّعرُ نبْعُ عواطفِ الشعراء
وأنا المطالبُ بالوفاء لبيئتي
أمّا الجنيبُ فلن ينالَ وفائي
ديباجتي من نُور عصرٍ سرُّهُ
في الكهرباء أراه لا البطحاء»

خامساً — من وُجهة الحجم ، فادَّعى ـ أرشده اللهُ ـ أنها ضئيلة الحجم ، متناسياً أنها رغم ايجازها المدهش واقعةٌ في اثنين وسبعين ومائتين من الأبيات ، وأني تعمّدتُ الاقتصادَ فيما شغلتْه من فراغ فأشرتُ باستعمال حروف دقيقة ، ولم أُجزّيء الأبيات ، ولو لا ذلك لوقعت القصيدةُ في أكثر من ضعف حجمها في الكتاب . وما كان هذا الاقتصادُ الكلّي الاّ لأجدَ فراغاً كافياً لمباحث

الـكتابِ الآخرى ، مما دلّتني خبرتي الماضية على رضاء جمهرة الادباء عنها . ولـكن حضرة الناقد المفضال تعمّد أن يعكس الحقائق عكساً تاماً ، كأنما يتصور ـ سامحه اللهُ ـ انّه ليس بين قارئيـه من لهم عقـول تقيسُ وتفهمُ ثم تحكم ! !

(٩) سخرَ من الاستاذين الأديبين الفاضلين عبدالله بكري وعبد القادر عاشور ، ولـكن نكرة مثله معذورٌ في ذلك ، كما أنه يُعذر اذا لم يفهم أنَّ النقدَ اذا تشبَّع بالتهكُّم والسخر والمغالطة فَقَدَ صفة النقد الأدبي ، وأصبح كاتبه ذاته موضع السخر ، فليس السخر والتهكم نوعاً من المداعبة المقبولة ، ولا أدري كيف يسخر حضرته ممن كان ناقداً أديباً لصحيفةٍ مشهورةٍ ، ومن أحد علماء الأدب ومدرسيه ، بينما هما في منزلةِ الاجلال بين الاساتذة ، ان كان لمثله أساتذة ! !

(١٠) عرَضَ من غير تعليقٍ أبياتاً قليلةً من شعر الشاعر ولم يجرؤ على تحليلها أو نقدها ، وان أشار لسان حالِهِ الى هذه الرغبة من قِبَلِهِ . . . فمرحى به من ناقدٍ همام لارأي له ولا شجاعة ! !

(١١) أشار في عجز تام الى تقدي المستقلّ لشاعرية شوقي بك

دون أن يظهر خطئي في موضع ما ، فاكتفى بادّعائه انّ أقوالي « لا تزال في حاجة الى التمحيص » . . . ووصفني بأني « مطيّبُ أبي شادي » اصغاراً لمهنة الأدب وللتعاون الأدبي ، وبعد ذلك يتظاهر انه من أنصار الأدب وحُماتهِ . . . ! !

(١٢) ختم رسالته بعد مغالطاته الكثيرة بهذا الاتهام العجيب: « . . . وللقاريء بعد أن يقرأ هذه الخلاصة أن يحكم على المقصود من المجموعة وتحالف كتابها على اعلاء أنفسهم واشهار شاعرهم بالحطّ من مقام غيره . » . . . ومعروفٌ أنه لا بدَّ لكل حكم معقولٍ من حيثيات ، ولكن صاحبنا لم يأت بحيثيّة واحدة، فكتاب (**عبده بك**) كلّه تقدير لادبائنا ، وتشجيعٌ على خدمة الأدب ، حتى نقدي لشوقي بك فانه ممتليء بالتقدير الكبير لمواهبه الأدبية التي لا ينكرها منصفٌ ، وبمحاولة توجيهه شطر التعاون الأدبي وقيادة المجدّدين من الادباء ان استطاع بعد أن ظلَّ معدوداً أمير المحافظين من الشعراء زمناً طويلاً . فحكمُ حضرة الناقد اذن حُكم مغرضٌ لا يُراد به الا التّشويش والخلط والتضليل ونكران الحقيقة الناصعة التي يعلمها جميعُ الادباء ، وهي أنَّ الدكتور أبا شادي يمثل الغيرة الأدبية أشرف تمثيل ، وهو عنوان البرّ بالأدب والادباء ،

ومثالُ التعاون الجميـل . فلمـاذا قلب حضرةَ الناقد هذه الحقيقة الناصعة المشهورة قلبًا تامًا ؟ ! لقد سبق الجوابُ وسيأتي الشرح . .

***

لولا علمي بما وراء هذه الحملة الموجهة الى الدكتور أبي شادي والى الأدب الجديد في شخص الشاعر الممثِّل لأنصاره ومريديه لما حفلتُ بها ، لانها في ذاتها حقيرة لا تستحق غير الازدراء بها . ولـكنها أقوى حملةٍ وُجِّهتْ الى هدمه بل الى هدم الأدب الحديث استبقاءً لنفوذ شوقي بك الذي لا يؤازر إلاّ من يتملقون اليه من النكرات ، فان عُرف أحدهم فيما بعد أسرع شوقي بك للتنكُّر له . . . ! ! وهكذا شـاءت الأقدارُ لسوء حظِّ الأدب المصري أن يكون أحـدُ الأكابر من شعرائنا — وهو شوقي بك — في مقدّمة هادمي الادب استبقاءً لمجـده الشخصي ، فهو يبني من جهة ويهـدم من جهات ! !

أوشك شوقي بك أن يتمّ العقدَ السادسَ من عمره (حيث وُلد سنة ١٨٦٨ م) بينما الدكتور أبو شادي في منتصف العقد الرابع (فقد ولد سنة ١٨٩٢ م) فالفارق بينهما ربع قرن من الزمان . فهل يريد الحزبُ الشوقيُّ رغم هـذا الفرق بينهما في السنّ (دع عنك

نعمة شوقي وراحته) شيئاً من المقارنة تخفيفاً من غلوائهم ومكابرتهم؟ إذن فليقرؤا ... وليتشجّعوا قليلا فيتجنّبوا الولولة والادّعاء بأننا نتحامل عليهم حينما نكتفي برد سهامهم الطائشة في شرفٍ وكرامةٍ . . .

أثر البيئة

نشأ الدكتور أبو شادي في بيئة أدبٍ وعلم وترعرع فيها ، فهي بيئة الصّحافة وبيئة الكُتّاب والشعراء ، فضلا عن الوسط العائلي الأدبي ، ثم انتقل الى خير الأوساط العلمية الانجليزية . وهذه البيئات المهذّبة المثقّفة قلّما أُتيحت لأديب مصري من قبل ، لا سيما وقد كانت متشبعة بروح الحرية والاباء ، مما طبعه بطابع الديمقراطية وعزّة النفس . وهذا من الاسباب القوية التي تجعلنا معشر الشباب الأحرار نُعلّق آمالا كبارا على مستقبله وعلى تأثيره الأدبي في المجتمع المصري .

وأما شوقي بك فقد نشأ في وسطٍ ارستقراطيٍ متقلّب، فانطبع بطابعه ولم ينفعه التعليمُ الاوروبي ، وخُدع الادباء بوعوده الجميلة التي نسقها في مقدمة الطبعة الاولى من ديوانه الجامع لشعره من سنة ١٨٨٨ م الى ١٨٩٨ م ، فلم يبالوا بمتابعة احدى الصحف في

وصفه « بشاعر الامير وأمير الشعر » - من قبيل المغالاة في المجاملة الشرقية المألوفة في ذلك الوقت - نعم لم يبالوا بذلك في الوقت الذي انتظروا الخير على يديه للأدب والادباء ، ولكنَّ فطرةَ شوقي بك المادية وأنانيته أخذتْ تتغلَّبُ عليه ونسي وعوده الطيبة[١] وحارب كل أديب نابه من حافظ الى محرم الى الكاشف الى نسيم الى غيرهم ، وكان اخوانه الشعراء يغفرون له هذه الخطيئات ، ويشفع لديهم صنائعه بما له من حسنات أدبية ، واستمرَّ الحال على هذا المنوال الى أن بلغ السَّيل الزُّبى في السنوات الاخيرة بتقلباته الذميمة ، حتى جعل أدَبنا أضحوكةً مبكيةً لمجرَّد زهوه وحبه للظهور وغروره الكبير[٢] !!

(١) راجع ما كتبه الاستاذ السندوبي في جريدته (الثمرات) - يوليو سنة ١٩٢٦م - وقارنه بما كتبه شوقي بك في مقدمة الطبعة الاولى (الشوقيات) .

(٢) اعترف شوقي بك بتشجيع فخر الادب العربي خليل بك مطران له وفضله عليه ذلك الفضل الذي نعلم جميعا أنه لم يبدله حتى ابعاد شوقي بك عن مصر ، فقال في مقدمة الطبعة الاولى من (الشوقيات) : « . . . . وهنا لا يسعني الا الثناء ، على صديقي خليل مطران صاحب المنن على الأدب ، والمؤلف بين أسلوب الافرنج في نظم الشعر وبين نهج العرب » . واعترف بفضل حافظ بك ابراهيم فقال :

قالوا حبيب أنت تطري شعره	من ذا الذي لم يطر شعر (حبيب)؟!
من كان في ريب فهذا ديوانه	راح العقول وكأس كل اديب

المبادئ والأخلاق

قلنا إنّ الدكتور أبا شادي رجلٌ ديمقراطيٌّ بتربيته وهو كذلك بفطرته ، ويعزز شهادتي هذه كلٌّ من عاشره من الادباء وكل من جالسه، دع عنك لسان شعره الحرّ . وهو وفيٌّ لمبادئه أتمّ الوفاء ، فلم يبدل منها الاغتراب ُ ولا تقلُّب الظروف السياسية .

وأمّا شوقي بك فلا أعلم أنّ له مبادىء أو شبه مبادىء ثابتة ، ولا وفاء لبيئته الاولى ، ولا التقدير الباقي لوليّ نعمته التي ما يزال يرتع في بحبوحتها .

والدكتور أبو شادي رجلٌ كريمٌ قولاً وفعلاً ، وشوقي بك

أوصى (لأحمد) وز الوليد) كليهما — شم المديح ورقة التشبيب
كم فيه من مثل يسير وحكمة — تبقى على الدنيا بقاء (عسيب)
يا (حافظ) الآداب والبطل الذي — يرجى ليوم في البلاد عصيب
حقر للآلى حصوا اللآلىء بالهوى — مثقوبة او غير ذات ثقوب
لا تسألوا الاصداف ماذا اودعت — في هذه الاوراق كل عجيب !

ثم غلبت عليه الغيرة منهما ، وأعمته الماديات ، فاذا به لا يهنأ له عيش الآن بغير انتقاص أصاغر الكتاب والصحف المجاملة له من قدريهما وأدبهما العظيم ، ولم تكفه دسائسه الاولى في حياة صديقه سمير فصارت مناه الآن ان لا تسم مصر بل الشرق العربي بأجمعه شاعرا غيره . . . . !!

رجلٌ بخيلٌ ، ولا أحبُّ أن أتوسع في المقارنة بهذه النقطة .. ..

وانما حسبي أن أقول إن جلال المبادىء ومكارم الأخلاق تترك في الشعر حياةً لا تفنىٰ ، وهذا عاملٌ آخر يدفعنا معشر الشباب الى التأميل الكثير من عبقريةِ شاعرنا الناهض الأمين الكبير النفس .

قوة الشاعرية

اذا قارنا بين شعر شوقي بك في العشرين من عمره (أي سنة ١٨٨٨ م) رغم تنقيحه له فيما بعد ، وبين شعر الدكتور أبي شادي في مُقابل ذلك العمر — بل فيما دون ذلك العمر بسنوات خمس — فاننا نجد لشاعرنا قوةً نفسيةً وأدبيةً فوق منال شوقي بك الفتىٰ . وأما عن شوقي بك في طفولته الادبية فقد كان شعره هذراً في هذر وسخفاً عجيباً لا يزال حديث المسامرة في المجالس الادبية اذا ما ذُكرتْ طفولة الادباء ، وقد اعترف شوقي بك ذاته بذلك مضطراً حتى يحبس السنةَ نُقَّادِه في أيام شبابه فقال : « على أن ما جُمع في (**الشوقيات**) ثم طُبع ليس هو كل ما قيل فقد أسقطتُ منه الكثير وعثرتُ على غيره ولكن في الزمن الأخير ، فأمَّا ما أُسقِطَ عَمْداً فأكثرُهُ من قولي في زمن الصبا الذي لا يؤمَنُ

فيه على المرء الغرور ، ولا يَسلك الفتى فيه سبيلا إلاّ وهو مضلَّلٌ عثور . وقد خشيتُ أن يقع مثل ذلك في أيدي الناشئة فأسأل عن سوء وقعه ويكون إثمه أكبر من نفعه ..... » الخ ، بينما السبب الحقيقي هو قُبحُ ما اضْطُرَّ الى اغفاله ، لأنَّ من يسمح في هذه الايام للشركة المصرية البريطانية بائعة الوسكي بأن تتخذ شعره وسيلة للاعلان عن بضاعتها [1] ولافهام الناشئة أنَّ نبوغ شوقي بك الادبي ينتسب الى الويسكي - مَنْ يسمح بهذه الجناية الُخلقية لاهيًا عابثًا لا يُصدَّقُ عنه هذا التعفف الذي يتحدَّثُ عنه في شبابه الاول ...!!

قال شوقي بك في العشرين من عمره متغزلاً :

وبدا يميسُ فلاح لي قمرٌ على
غصنٍ رطيبٍ بالمحاسنِ مُثْمرِ
رشأٌ اذا هزّ النسيمُ قوامَه
أزرى بغُصْنِ البانةِ المتخطّرِ
متمايلُ الأعطافِ ، وردُ خدودِهِ
يُغني المحبّ عن الشقيقِ الأحمرِ

فوضع لك « البدر » على « الغصن » وتحدّث عن « البانة ».

(١) راجع الصفحة الثانية من جريدة (السياسة) الصادرة بتاريخ ١٦ اغسطس سنة ١٩٢٦ تجد فيها احدث اعلان من هذا النوع اطلعنا عليه بعد كتابة هذا المقال ووقت تصحيحه قبل الطبع

و« الشقيق الأحمر » ونحو ذلك من السّخف الذي يقال لنا الآن.
انه كان تجديداً عظيماً في الشعر العربي ! ! أمّا الدكتور أبو شادي
فقال لنا في الرابعة عشر، وهو من شعر طفولته الأدبية الذي يحاول
الشوقيون تعنتاً أن يعرضوه على محكّ النقـد بل في معرض
التحامل الذميم :

لولا المحبـةُ ما تحركَ شاعرٌ ولمـا غدا حول السماكِ يطيرُ
ولما رأينا للمـكارمِ دولةً ولما نظرنا الكونَ وهو خطيرُ
فاعجبْ لضعفٍ قوةً في ذاتهِ يَدَعُ الحياةَ تَني له وتمورُ !

وقال في العشرين باكياً هواه وشبابه الذابل:

أسفي على عهـدِ الشباب المنقضي
بجلال نعمتهِ وحقّ زفيري
ودّعتهُ وحرستُ آمال الهُدَى
فشقيتُ الآنَ من لقاءِ ضميري
وأنا الشفيقُ على الجمالِ وانْ قستْ
وجنَتْ محبّتهُ إزاء مصيري !

وقال شوقي بك في الثلاثين من عمره يصف منظر طلوع البدر
في البحر من أعلى السفينة وهي تجري ـ وهذه القصيدة من أحسن.

شعره الوصفي في شبابه :

ملكَ السماءُ بهرت في الأنوارِ ... ففداكَ كلُّ متوَّجٍ من سارِ
لمَّا طلعتَ على المياه تنيرها ... سكنتْ وقد كانت بغيرِ قرارِ
وزهتْ لناظرها السَّماءُ وقرَّها ... في البحرِ من عببٍ ومن تيَّارِ
وأهلَّ لله السراةُ وأزلفوا ... لكَ في الكمالِ تحيةَ الاكبارِ
وتأمَّلوكَ فكلُّ جارحةٍ لهم ... عينٌ تسامرُ نورها وتساري
والبدرُ منك على العوالم يجتلي ... بشرَ الوجوه وزحمة الأبصارِ
متقدّمٌ في النور محجوبٌ به ... مُوفٍ على الآفاقِ بالأسفارِ

الى آخر هـذا الوصف المستملَح . ومع هذه الاجادة فقارنْه بشعر الدكتور أبي شادي في الخامسة والعشرين يصف سقوط الجليد في انجلترا من قصيدة طويلة فريدة بأخيلتها وجمالها :

أُنظرْ مفـاخرَ أنجمٍ وبُدورِ
جعلتْ مطالعَهـا بأبهجِ دُورِ
سلبتْ عقولَ أُولي النُّهى واُولي الهدى
مَنْ لم تتيّمهمْ ذواتُ خُدُورِ
هذا الجمـالُ لعابدٍ متبتّلٍ
جذبتْ روائعُهُ أرقَّ شعُورِ

هذا النعيمُ لكلّ مَنْ يُعنَى به
واكلّ ذي لُبٍّ وكلّ شكورِ

هذا الكتابُ لباحثٍ أو واصفٍ
أو ناقشٍ أو عازفٍ مسرورِ
آياتُ إعجازٍ تجلّتْ للورى
والليلُ حائطُها بأمتن سُورِ

في كلّ نافهةٍ وكلّ جليلةٍ
آثارُ وجدانٍ أجلّ كبيرِ
هذي مظاهرُ كلّ فنٍّ شائقٍ
منها استعار الفنَّ كلُّ خبيرِ!
فاز الثّرى منها بكنز لآلىءٍ
وحُليّ أقمارٍ ونفْحِ عبيرِ
وزَهَتْ بزخرفها السّماء فأمطرتْ
منْ عهنها المنفوشِ والمنثورِ
نشرتْ لواءَ السِّلم أبيضَ ناصعاً
فالحبُّ تحت لوائها المنشورِ

كَسَتْ الطَّبيعةَ حُلَّةً من فضّةٍ
هي في طهارتها لباسُ الحُورِ
نَثَرُ النجوم قشورَها مجلوّةً
بالنُور أو نثرٌ من البَلُّورِ
قرّتْ عيونُ الكائناتِ بمشهدٍ
عجلَ الفناء اليهِ غيرَ صبُورِ

وأما المقارنةُ بين شعر شوقي في الثامنة والخمسين وبين شعر أبي شادي في الخامسة والثلاثين (وأمثلة منه في صفحات هذا الديوان) فميسورٌ للقاريء [١] . وبجانب هذه المقارنة يجب على الناقد أن يذكر أن شاعرنا غير راضٍ عن نفسه وعاملٌ دائماً على تهذيبها ، ومقدرٌ مسؤولياته ، وأنه يترك تحقيقَ أطيب وعوده وآماله الأدبية الى الغد ، وانَّ أصدقاءه لا يقنعون بآثار نبوغه

(١) المقابلة الحقيقية في عرف المنطق بين قوة الشاعرية في نظم شوقي بك سنة ١٩٢٦ م . وبينها في نظم الدكتور أبي شادي انما يجب أن تكون في سنة ١٩٤٨م . حيث يبلغ شاعرنا (اذا مد الله عمره) عمر شوقي بك الحالي فتكون المقابلة بين آثارهما متكافئة في معظم العوامل الطبيعية، وان انفرد شوقي بالثروة والنعمة والراحة والتفرغ للشعر . ورغم هذا الفارق فليس الدكتور أبو شادي في اعتقادي وفي اعتقاد الكثيرين من الادباء والمفكرين بالخاسر في مواقف كثيرة اذا تعرض للمقارنة الادبية في وقتنا الحاضر ! !

الحاضر مهما أجلّوها ، بينما شوقي بك اعتقد من أول عهده أنه شاعرُ الشرق بأسره ، وانه أعظم من (تاغور) وبينما أصدقاؤه النفعيّون يتابعونه في هذا الوهم ويستغلّون في غير حياء هذا الضعفَ منه . . . ! ! فايُّ الادباء أولى بأن يُسمَّى « مطيباً » لصديقه الشاعر ، أمثلي الذي يقرن التقدير بالنّقد ويشجع صديقه دائماً على بلوغ المثل الأعلى من الكمال مهما طال الزمن ، أم هو الدكتور هيكل بك الذي غالى أيةَ مُغالاةٍ في تفخيم شاعره شوقي ، أم هو محمد بك ابراهيم هلال الذي عظّم حافظ وشرح ديوانه الأول وخاطبه بقوله :

ألاَ كلُّ قولٍ عن مديحِك قاصرٌ
وكلُّ مديحٍ في خلافِكَ زُورُ !!

ثم دار الزمانُ دورتَه فتخلَّى عنه . . . ! !

اني رجلٌ صريحٌ لا أندم على الصراحة الشريفة والجرأة الحقّة ولولا حُبّي للأدب لما استطعتُ الاشرافَ على نشر هذا الديوان فقد كثرتْ شواغلي وتنوعت منذ أوقفتْ الوزارةُ الزيورية المشؤومة عملي الصحفي ، وقد تعوقني شواغلي المستقبلة عن القيام بنظير هذه الخدمة الأدبية التي ترتاح لها نفسي أعظمَ الارتياح ، ولكنَّ

ذلك لا يدعوني الى تغيير رأيي فيما دلّني المنطقُ والتجاربُ على أنه صوابٌ ، ولن يثنيني النقدُ المغرِض عما أراه حقاً ، ولن يكون سكوتي الاضطراري تبديلاً لمبادئي ولا مساومةً في ذمتي ، لا قدر الله . . . .

الاثر القومي

لقد صدق الحزبُ الشوقي في قوله انّ شعر أبي شادي شامل للحياة القومية ، وان شاعرنا ينظم في كل موضوع ولكل مناسبة وانه قادر على خلق المناسبات للنظم . وسيؤلمهم أكثر من ذلك ـ ما داموا لا يعبؤون ببناء الادب ، بل يكاد يعنيهم هدمه استبقاءً لتفرد شوقي بك بالشهرة ـ انّ شعره محبوبٌ لدى طبقات كثيرة من المتعلمين ، وان دواوينه رائجةٌ منشودةٌ .

حدّثنا أحدُ محبّي شوقي بك ـ بل أحد المغالين في تفخيمه ـ عن تقلّب شوقي بك وقلبه للحقائق حسب الاهواء والمنافع ، فقال في رفقٍ ومودةٍ كثيرةٍ [1] : « شوقي شاعرٌ : شاعرُ النيل وشاعرُ البسفور ، وشاعرُ الحضرة الخديوية في مصر ، وشاعرُ

(١) راجع مجلة « الفتح » : العدد الثاني ، المجلد الأول .

العرش العثماني في فروق ، شاعر العهد الحميدي في حكومته المطلقة ، وشاعرُ العهد الرَّشاديّ في حكومته الدستورية . كذلك شوقي نفسه شاعرُ الخلافة الاسلامية متمثلةً في التاج العثماني ، وشاعرُ الجمهورية التركية مشخَّصةً في قُبّعة مصطفى كمال . ثم من هنا وهناك شوقي عينه شاعرُ الشرق ، فأميرُ الشعر ، أو أميرُ الشعراء !

لا بأس ! طائرٌ يغرّدُ في كلّ فنَنٍ ، وريشةٌ تضرب على كلّ وَتَرٍ ، وانْ شئتَ فقلْ : شاعرٌ في كلّ وادٍ يهيم ! لا بأس ! انَّ في شعرهِ لحلاوةً ، وانَّ عليه لطلاوةً ، وانَّ الرجل لمطبوعٌ على الشعر كأنّما خُلِقَ ليكونَ شاعراً ، فليكنْ أميرَ الشّعر والشعراء ، وليكنْ شاعر الشرقِ والغربِ اذا شاء . في استطاعة شوقي أن يكون كلّ ذلك ، وفي استطاعة شوقي أن يهيمَ في كلّ واد ، وأن يقدحَ كلَّ زناد . ولكن ليس في استطاعته أن يتمرّد على الطبيعة ويخرج على الدائرة التي وضعه اللهُ ضمنَ حدودها دونَ أن يضلَّ سواءَ السبيل ، فلايلبث أن يعودَ مقهوراً مدحوراً لم تغنِ عنه شيئاً ألقابُهُ ووديانُه ، ولا أوتارُهُ وأفنانُهُ ، فانها شيءٌ وماتصدّى له شيءٌ آخر . . . »(١)

(١) طعن شوقي بك طعناً مراً في زعيم الثورة المصرية الأولى المغفور له أحمد عرابي باشا بقصيدته التي يقول في مطلعها : « عرابي كيف أوفيك الملاما . . » .

هذا ما يقوله أحد أنصار شوقي بك متستراً ، فماذا يمكن أن يُقال عن الدكتور أبي شادي ؟ لا أكثر ولا أقلّ من أنّه شاعر وجدانيّ تتمثل العواطف في كل شعره ، وتتوجه أحاسنهُ الى هيكل الوطن المقدّس ، كبير القلب ، شريف المبدأ ، يُحتَرَم شعرُهُ كما يُحترَم رأيهُ ، مجدِّدٌ في غير تجرُّد ، متصوّفٌ في فلسفته ، حرُّ الذهن في غير إلحادٍ ، عريقٌ في وطنيته ، وافٍ بعهده القديم :

تخرُّ الراسياتُ ولا سبيلٌ الى هدمِ الكريمِ من اعتقادي

يعرف ان أعظم سرٍ لدينه نصحُ خاتم الانبياء والمرسلين ، بأن نطلبَ العلمَ ولو في الصين ، فيدعو ـ خدمةً للعلم وللدين وللانسانية معاً ـ الى دوام تطبيق العلم على الدين ، كأنما ذلك ركنٌ سادسٌ للاسلام . هذا شاعرنا وهذا أثرُهُ القومي في شعره .

وكانت منشورة في الطبعة الاولى من (الشوقيات) ثم حذفها من الطبعة الثانية ، لا اعترافا بالحق ولا خجلا من ذنبه ، وانما جبنا امام انكار الوطنيين المصريين لحملته ، فلا هو تمسك برأيه في عرابي ودافع عنه ، ولا هو انصف ذكرى عرابي باشا . وهذه روحه بعينها في مدحه واوصافه وتهانئه ومراثيه ـ ومن بينها رثاء الحصان الكريم « مكسويني » ـ فانما يمليها غالبا الغرض او الهزل او حب النفع او فرص الظهور ، واما الواجب المستتر فيندر انه يعبأ به . والعهد قريب بتخلفه عن حفلة (يوبيل المقتطف) لاشتراطه الاكتفاء بقصيدته نيابة عن الشعراء المصريين والاستغناء عن قصيدة حافظ بك ابراهيم ، فرفض أصحاب (المقتطف) طلبه السخيف بشمم وكرامة نفس ... !!

اللغة والديباجة

ربما كان الأليق ان أُشيرَ عرَضاً الى اللُّغة والديباجة في موضعٍ سابقٍ لأنّها ليست أهمّ شيء في الشّعر ، فالغايةُ القصوى من الشعر أثره القومي ثم أثره الانساني العام ، وما أثره الفنّي الاّ غاية صغيرة بجانب الغاية القومية العظمى المنشودة في هذا العصر . بَيْدَ انَّه لا يزال في مصر جيشٌ عظيم من المقلّدين كلُّ حديثهم عن الأدب محصورٌ في هذه الـكلمات : « رقيق . جزل . لغـة . ديباجة . مبتذل . فخم . » .... فالى أمثـال هؤلاء يكفيني أنْ أقول : هذا شاعرٌ كم شوقي أنفق من عمره ثمانيَ وثلاثين سنة دارسا للغة العربية، ومع ذلك لا تزال تُعدّ عليه سقطات وأخطاء كثيرة ، وأملهُ الاكبر أن يُعدَّ الشاعرَ العربيّ القحّ .... فلا هو يُرضي علماء اللغة والأدب العربي الأصيل من تلاميذ الشنقيطي والمويلحي والمهدي ، ولا هو يُرضي أنصار الأدب المصري الخـاص ، وهذا شاعرنا الدكتور أبو شادي اعتبر بهذا الدرس الأليم الذي شاهده في شوقي وحافظ ومحرم وغيرهم ، فقال ما أغنـاني عن كلّ هذا السّخف ، وابتدع لنفسه أسلوباً خاصاً ، وأحيـا روحَ الأدب المصري في شعره، ونظر الى أدب بيئته بالنسبة للأدب العربي الصميم كما

ينظر الامريكي الى الأدب الانجليزي . ولقد صدق الناقد الأدبي لجريدة (**الاهرام**) في قوله عن شاعرنا : « .... تَبينّا له طريقةً استقلَّ بها ، فهو لا يقلّد قديمًا ولا يشايع جديداً ، وانما يرسل شعرَه منتزَعًا من الحياة العصرية ، حتى كأنه قِطَعٌ منها متناثرة » . (١)

فالدكتور أبوشادي ليس مقلداً في أسلوبه وان كان له مقلدون وقد استمدّه من روحٍ قوميةٍ شريفةٍ بدافعٍ شريفٍ ، فكلُّ نقد يصطدم به اذاً يتناثر حوله ، لأن روحَ أسلوبه المنطقُ السليم والوطنية العمليّة الصادقة . ولله دره حيث يقول :

لغتي الذي يوحيه ذوقي والذي
لبّى به الأدبُ الحديثُ ندائي
وأرى فمي وحجايَ ثم يراعتي
ملكاً لموطنيَ الشقيّ شقائي

ولم يكتف الدكتور أبوشادي بتمصير مفرداته وأسلوبه في اعتدال جميل بل تصدَّر أيضًا لمحو رذائل القيود العروضية التي لا يقبلها الذَّوْق العصري أو لا موجبَ لها في عُرفه ، وقبلَ النقدَ

(١) راجع مقالة الدكتور أبي شادي الشائقة عن « ادب العصر » في ذيل الجزء الأول من كتاب (وطن الفراعنة) وقصيدته العصماء عن « الوطنية والأدب » المنشورة في هذا الديوان .

في شجاعةٍ بل دعا اليه ورد سهامه الطائشات، بينما «أمير شعرائنا» شوقي بك خائفٌ وجلٌ يتقدَّم خطوةً في سبيل التحرير ثم يتراجع خطوات أمام نقد الجامدين، واذا عتبنا عليه في لينٍ أو شدَّةٍ بريئةٍ من الغرض الشخصي أثار عسا كره علينا في حربٍ عوان، فرأينا - وبنفسنا اللَّهفُ والحسرة - كيف يعمل على هدم الأدب مَنْ هو أولى بأن يبقى دائماً في طليعة بُناتِهِ ... فلعلَّ مرارة كلمتنا هذه هي مرارة الدواء الناجع، وأن سوف يتبعها شفاء ستقَرُّ به عينُ الادب، وسيكون فاتحةَ عهد جديد للتعاون الادبي المنشود المجرَّد من حُبِّ المجدِ الشخصي، فانه ما تسلط على أي نابهٍ عظيم الا وأساء اليهِ، ثم الى عملِهِ، ثم الى وطنهِ ؟

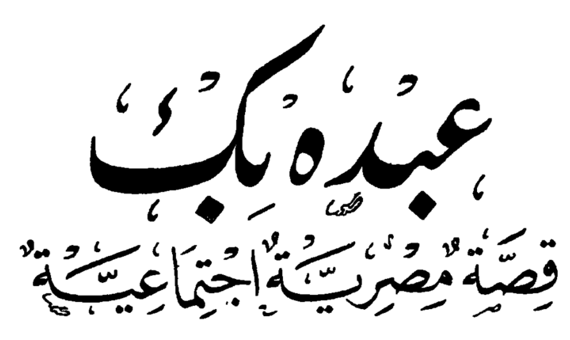
حسن صالح الجداوى



فهرس

الصفحة





المطبعة السلفية ومكتبتها ٭ ١٠٩ صفحة بقطع الجاير: الثمن ثلاثة قروش مصرية.

أمثلة من آراء الصحف والكتاب

كتبت صحيفة (البلاغ) المصرية الغراء :

« قصة مصرية اجتماعية من نظم الاستاذ الدكتور أحمد زكي أبي شادي تقع في نيف ومائتين وسبعين بيتاً تخلص فيها المؤلف من قيود القافية الواحدة فنظمها من بحر واحد ولكن لكل بيتين قافية مستقلة وتوخى فيها تحليل شخصيات أبطال القصة تحليلا نفسانيا. وملخص هذه القصة أن بطلها تزوج من ثلاث نساء. ثانيتهن أجنبية ففشل في الزوجة الاولى اسوء الاختيار ونقص في تربية الزوجة وطلقها بعد ما استولدها غلاما وفشل كذلك في الزوجة الثانية لانها لم تكن مدعمة بمقومات الائتلاف ولكنه نجح وعاش سعيداً في الزوجة الثالثة .

وقد وقف على نشرها الاستاذ حسن صالح الجداوي ومهد لها بكلمة شائقة وختمت القصة بكلمات مختلفة عن المؤلف . وآثار الاستاذ أحمد زكي أبو شادي غنية عن التقريظ ، فنشكر له هديته ونلفت لقصته البديعة الانظار » .

***

وظهرت في صحيفة (**المقطم**) الغراء هذه الرسائل النقدية ، وهي مرتّبة تبعًا لتواريخ نشرها :

نقد أمير الشعراء

(١)

حضرات الافاضل أصحاب المقطم الاغر

تحية واحتراما وبعد فقد كنت في عداد المتألمين لمطالعة كتاب « الاسلام واصول الحكم » ثم لمطالعة كتاب « في الشعر الجاهلي » لاني عددتهما معولين لهدم مآثر الماضي المجيد ، واليوم يزداد ألمي للحملة العنيفة الموجهة الى هدم أمير شعرائنا ومفخرة جيلنا أحمد شوقي بك . وقد بدأ بها الاستاذ العقاد من زمان في كتاب « الديوان » ، بيد أن شدة نقده لا تذكر بجانب النقد المتطرف والهجوم الجريء الذي اشترك فيه الاستاذان الجداوي وعاشور في ذيل قصة « عبده بك » الشعرية ، وهي وان عدت من حسنات الادب المصري الا أن هذا النقد الذي ذيلت به مما شوه محاسن الكتاب ، وان حسن ظني في هذين الاستاذين الفاضلين هو الدافع لي لتوجيه هذه المؤاخذة اليهما على صفحات جريدتكم الغراء معتمداً على تقديركم لحرية الآراء ولحرية النشر .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

يوسف عنايت

ديبلوم في الزراعة

(٢)

حضرات الافاضل أصحاب المقطم

قرأت في المقطم أمس الكلمة التي تفضلتم بنشرها بالعنوان السابق لحضرة يوسف عنايت افندي وفيها يستقبل قصة « عبده بك » التي نشرتها وذيلتها بكلمة « عن الشعر وضرورة أن يكون مرآة لعصره » استقبال الحانق الغاضب

فدهشت وحق لي ان ادهش ، فما كنت أحسب أن بحثا بريئا ـ سداه ولحمته النقد النزيه ـ يجر على صاحبه « المؤاخذة » مهما كانت بأسلوب رقيق وفي غير عنف .

وكيف لا يأخذني العجب وحضرة الكاتب الفاضل يريد ـ حسنت نيته أو ساءت ـ ان يضع رسالتي الصغيرة في مصاف كتب لها عظمتها وقيمتها ككتابي « الاسلام واصول الحكم » و « في الشعر الجاهلي » اللذين مهما اختلفنا في تقدير أحكامهما فلاخلاف في أنهما نتاج عقول راجحة وبنات أفكار جبابرة في الرأي .

على أني اريد ان ألفت نظر حضرة الكاتب الفاضل الى أنه ليست هناك ـ في كلمتي على الاقل ـ حملة عنيفة موجهة الى هدم « أمير شعرائنا ومفخرة جيلنا أحمد شوقي بك » كما تبادر الى ذهنه ، وانما هناك ـ كما قلت ـ بحث نزيه مبني على حجج واضحة فليتفضل حضرته بنقدها نقداً وجيها وأنا مستعد ـ ان اقتنعت ـ للاقرار بخطائي والرجوع عنه . أما اذا لم يقم الدليل على خطأ ماذهبت اليه ـ وما أحسبه بالمقيمه ـ فليتركني حرا في أن أعتقد أن شوقي بك على ما له من ملكات لا تنكر لا يمثل العصر الحاضر بحال فهو اذا لايمكن أن يعتبر أميراً لشعرائه .

أما ما جاء في كلمته خاصاً بصديقي الاستاذ عبد القادر عاشور فما أحسبني مطالبا بالدفاع عمن له مثل مقدرته المنطقية والبيانية .

وتفضلوا ، سادتي الدكاترة ، بقبول عبارات اعجابي واحترامي ؟

حسن صالح الجداوي

مهندس تجاري ـ ليسانسيه في الحقوق

(٣)

حضرات الافاضل أصحاب المقطم

لاأنكر أن مصر بلاد العجائب ، ولكن من أعجب العجائب أن يتعرض من هو أولى بالالتفات الى المحراث ، وآلة الري والسماد والقطن لما لا يعنيه

من مباحث أدبية لا يدل خطابه المنشور بالمقطم الاغر على تفهمه لها . ثم لست أنكر أن الادب غير خاص بطبقة معينة من الناس ، ولكن الواجب على غير الضليع في الادب أن يعرف قدر نفسه ، وأن يترك النقد الادبي وشأنه ، بدل المهاترة التي لاجدوى منها ، واذا كان حضرة يوسف افندي عنايت يريد أن يتقرب الى جاه شوقي بك فليكن ذلك بطريقة أخرى لا بالاساءة اليه من حيث يريد الدفاع عنه فقد اظهره بمظهر الصنم المعبود الذي يخشى عليه من التهدم كلما عصف به نقد قوي جريء .

لقد اطلعت على قصة « عبده بك » النظمية وأعجبت جد الاعجاب بهذا المثال الشائق للشعر العصري السليم ، ولم اجد في مابها من فصول نقد الآن خير الامثلة لما يجب أن يكون عليه النقد العلمي النزيه. فالواجب على كل منصف أن يوجه للاستاذين الجداوي وعاشور أوفي الشكر لاخلاصهما الادبي وشجاعتهما المحمودة في سبيل الاصلاح المنشود . ولا أشك في أن المقطم الاغر سيتفضل بنشر هذا الرد الوجيز في سبيل الادب والحق والامانة .

ابراهيم كامل زيتون
ليسانسيه في الآداب

(٤)

حضرات الدكاترة الافاضل أصحاب المقطم

اطلعت على ما نشر في جريدتكم الزهراء في هذا الموضوع تعليقا على قصة « عبده بك » ، وبودي أولا ان اشكر لحضرة الاديب الفاضل يوسف افندي عنايت فتحه هذا البحث النقدي المفيد وثانيا أن اعزز رأيه ولكن من وجهة واحدة فقط فان لشوقي بك ادبه وآراءه ، وله حسناته وعيوبه ، واظن ان الاحسن تركه وشأنه لانه من الصعب الآن تحويله عن آرائه وطريقته ، واظن ان هذه هي النتيجة التي وصل اليها الاستاذ العقاد وغيره بعد سابق نقدهم لشعر شوقي . وعلى كل حال فشوقي بك يستحق منا هذه المراعاة وهذا التسامح ، ولا خير للادب في هدمه .

واني اخالف الاستاذ زيتون في رده على حضره عنايت افندى فليس الادباحتكارا لطائفة من الناس،وخطاب عنايت افندي المنشور في المقطم الاغر ينم على روح ادبية وغيرة محمودة ، وان لم اوافقه على جميع ملاحظاته ، ولهذا فاني اهنئه باخلاص بشجاعته الادبية ودفاعه عن معتقده . واما مخالفتي له فهي في تصوره ان البحث النقدي المذيلة به هذه القصة الشعرية مما يشوه جمالها او مما يذهب بفائدتها ، فان هذا النقد مكتوب بأسلوب علمي رزين ، وواضح ان الغرض منه الاصلاح لا التشهير وكله مكتوب باسلوب منطقي بديع . ولعل يوسف افندي عنايت اقتنع بخطئه في هذه النقطة بعد الاطلاع على رد الاستاذ الجداوي ، وعلى كل حال فله شكر الادباء وشكر شوقي بك خاصة .

وأخيرا اود ان انوه بفضل الاستاذ الجداوي على الادب المصري من طريق تشجيعه للنقد السليم وغيرته على حرمة الادب ، وقد سن سنة صالحة في مطبوعاته الادبية بتقديمها او بتذييلها بمباحث نقدية جليلة ، فقضى بذلك على عادة التقريظ السخيفة التي افسدت كثيرا من مطبوعاتنا الادبية كما افسدت اذهان الادباء . ولهذا يجدر بالادباء ان يشكروا كذلك للمقطم والمقتطف الاغرين عنايتهما العظيمة بتنشيط النقد الادبي وخدمة الادباء والمؤلفين »

عبد اللطيف حسن : حقوقي

* * *

وكتب الشاعرُ المتفنّن المعروف الاستاذ ابراهيم بك زكي وكيل النيابة بالاسكندرية الى الدكتور أبي شادي :

« وصلني كتابك وبه منظومتك (عبده بك) ، فأشكرك جزيل الشكر لهذه الهدية النفيسة ، كما أشكرك شكرا ثانيا لما توليه للادب في مصر من عناية وما تبذله في سبيل تجديده وبث الروح الغربية فيه . ولا أكذبك أنني ما تمشيت في قراءة القصة الا وأنا أحسبها ستختم تلك الخاتمة السقيمة التي عتدتها في أغلب القصص من زواج غير موفق ، الى عربدة ، فانتحار . . .

ولكن كانت خاتمة قصتك غير هذا النوع السقيم ، وكانت أيضا طريفة ، وكانت خاتمة حسنة . وأما وهو في مقدورك نظم القصص فاني لعلى شغف أن أرى منك قريبا ما يماشي الآداب الغربية ، وأن يفتح أمامك ذلك الباب الذي عصى على الكثيرين ، أو قل لم يطرقه أحد قبلك . وفي الختام أكرر لك شكري وتهنئتي الخالصة ، واني لمرتقب منك كل جيد من الاعمال ان شاء الله ، وأدعو لك بالتوفيق » .

***

وكتب حضرة الاديب الفاضل والنطاسي الشهير الدكتور عبد الله جلال مدير مستشفى ملّوي الى الدكتور أبي شادي :

« تسلمت قصة (عبده بك) وهي بديعة أهنئك بها ، وقد سررت من نقد حسن البديع لشوقي بك .... فانه في صورة جميلة على غاية من الادب والنبل والشرف ، وحقيقة أغبط حسنا لاجله » .

* * *

وكتبت مجلة (المقتطف) الغراء :

« ... قصة مصرية اجتماعية لظم قلائدها الدكتور احمد زكي ابو شادي ووقف على نشرها حسن صالح الجداوي . وقد الحق بالقصة فصل في تحليلها بقلم الاستاذ عبد الله بكري وآخر في شاعرية ابي شادي بقلم الاستاذ عاشور جمع فيها امثلة مختارة من شعره ، ثم فصل بليغ بقلم الناشر عنوانه الشعر مرآة عصره ... » .

* * *

وكتبت مجلة (النهضة النسائية) الغراء :

« (عبده بك) قصة مصرية اجتماعية راقية نظمها الشاعر المطبوع الاستاذ الدكتور احمد زكي ابو شادي بك في بحر واحد وقافية مزدوجة ، وهي قصة نفيسة تبين مضار من تسميم الخاطبات في المنازل ، وكيفية

التغرير بالعائلات وما ينجم من العلاقات الزوجية حتى تنتهي عادة بالفراق لعدم ارتكازها على اساس التجانس في الطبائع والاخلاق . وكم من مأساة كمأساة (عبده بك) حدثت في المنازل بسبب الخاطبات . وقد زين الكتاب بصور تخيلية جميلة ، وعلق على هذه القصة بعض الادباء الافاضل ، وعني بنشرها الاستاذ الفاضل حسن صالح الجداوي . وطبعت طبعا جيدا على ورق مصقول بالمطبعة السلفية بشارع الاستئناف بالقاهرة ، وثمن الكتاب ثلاثة قروش صاغ . فنحث الادباء على اقتناء هذه القصة المصرية الثمينة ، ونرجو لها الذيوع والانتشار » .

* * *

وكتبت جريدة (الفجر) الغراء لصاحبها الاستاذ احمد خيري سعيد :

« القصة الشعرية الموسومة (عبده بك) تنبيء عن اتجاه جديد عندنا ، وهي بحق محاولة جدية في سبيل تحرير العاطفة الشعرية والخيال الشعري من القيود العتيقة . وانا لنهتف لها باعتبار انها من تباشير النهضة القومية التي جعلت غايتها التجديد على اساس الحق لا التقليد والصدق لا التزييف »

***

وكتب الى الشاعر فضيلة الاستاذ العلأمة الشيخ أبو السعود القاضي الشرعي لمحافظة السويس :

« . . . . كتاب خلقي كريم نحن في هذا العصر أحوج ما نكون اليه يرينا كيف يجب أن يتخير الرجل قرينته في الحياة حتى لا يكون الزواج لعبة من اللعب ، وحتى يؤدي الغرض الذي من أجله شرع . يقول الله في حق الزوجين « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » ، ويقول جل شأنه : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ، ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الله في الضعيفين ـ المرأة

والرقيق» ، وغير ذلك مما عنيت الشريعة الغراء بالتنبيه عليه . وأنت جد عليم بان تلك الثمار لا يمكن أن يجتنيها ذلك الذي يقترن بالزوجة لانها بنت فلان وفلانة ولا يعلم من أمرها أكثر من ذلك ، حتى اذا بنى بها لم يكن ثم بينهما من التآلف ما تطيب معه العشرة وتثبت بينهما المودة فيكون الفساد في الارض وقطيعة الرحم . . . عمدت ايها الاستاذ الحكيم الى تلك الرواية الظريفة الممتعة فأريت الناس كيف يتخيرون لنطفهم كما أمرهم نبيهم ؛ فلك الشكر وجزيل الاجر . »

***

وكتب من بغداد الأديب الشهير الاستاذ روفائيل بُطّي رئيس تحرير مجلة (الحرية) :

« . . . . كم كان سروري عظيما بكتاب (عبده بك) الطريف فقد طالعت فيه فصولا ممتعة في النقد والادب فضلا عن القصة الشعرية التي هي تحفة من تحف الفن الخالدة . . . وكنت قد قرات في (السياسة الاسبوعية) كلمة « قدامة » فتبرمت منها . . . »

***

وكتب الاستاذ الكاتب المعروف الدكتور أبو طائلة المحرر بجريدة (البلاغ) بمصر :

« لقد قرأت قصة (عبده بك) فاعجبت بها أكبر اعجاب ، وكنت دائما أنعى على الادب العربي خلوه من القصص وآخذ على ادبائنا اغفالهم هذا النوع من الكتابة . . . (فعبده بك) من أجدر التآليف بالتقريظ . وكاتبه أحق الناس بأن يشاد بذكره وان كان فضله معروفا . . . » .

***

ونشرت صحيفة (السياسة) الغراء هذا النقد بقلم حضرة الاستاذ الأديب حسن افندي الحطيم ، ولعلّ خير ردّ عليه هو مقالُ الدكتور أبي شادي المعنون « أدب العصر » في ذيل الجزء الأول من كتاب (وطن الفراعنة) :

« للاديب الدكتور أحمد زكي ابو شادي اسلوب خاص في شعره فهو مجدد حديث يود أن يمت شعره دائما الى الافرنجية بسبب . وهو يعنى بالمعنى أكثر مما يحفل بالمبنى . فقد تزدحم عليه الآراء والافكار فلا تكاد تسعها ألفاظه حتى ليبدو البيت الواحد من شعره مثقلا بأكثر مما يطيق . وقد يكون هذا هو السبب فيما يبدو في شعره من الغرابة .

لا أشك انه قرأ كثيرا وبخاصة في الأدب الانجليزي ولشد ما يظهر هذا في أكثر أشعاره من خيال اوربي وتفكير أجنبي قد يكون رائعا وان كان غريبا .

كنت أود ان يعنى بتمهيد الالفاظ لدرجة اكثر ، فانك قد تقرأ له القصيدة وفيها من سمو التصورات والتخيلات ما قد يعوزك احيانا الى الالتجاء له هو ليبسط اليك معانيه ويشرح لك مراميه . ولكنه لم يكن كذلك في قصة (عبده بك) التي قرأتها الآن فوجدتها سهلة جزلة . ولعل السر في ذلك ايضا انه نحتها على المثال الاوربي ، فارسلها غير مقيد نفسه بالقافية الا في كل بيتين اثنين . وقد ضمنها اجتماعية من معضلات اجتماعياتنا هي معضلة الزواج . انه شرح تلك المسألة خير ما تشرح المسائل وحل المشكلة ابرع ما يمكن ان تحل المشاكل ، فأظهر لنا (عبده بك) فتى مثريا وارثا تزوج من فتاة مصرية عن طريق الدلالة ، فلقي ما هو مفروض في تلك الزيجة من ألم وبؤس ، ثم تزوج باوربية فتعرض لما يتعرض له المتزوجون بالاوربيات من لذة حينا والم في حين آخر ، ثم انتهى بزواج مصرية عصرية حديثة مهذبة ذاق في مشاركته لها انواع السرور والهدوء والدعة . وتجد في آخر قصة (عبده بك) مجموعة من اشعار حول مسائل اجتماعية ووطنية لم تبرأ من سمو المعاني وضيق المباني . »

***

وكتب حضرة صاحب العزة النطاسي الشهير والاديب المفضال الاستاذ الدكتور نجيب بك اسكندر عضو مجلس النواب الى الدكتور أبي شادي :

« . . . أشعر حقيقة باني عاجز عن ايفائك من الشكر حقك ، واني لمعجب بذلك النشاط وبتلك المقدرة الفائقة على اخراج هذه التحف الادبية الواحدة تلو الاخرى بهذه السرعة . . . وانه لفخر لهذه البلاد ان يكون من ابنائها أمثالك من النجباء ، فهنيئاً لك بما وهبك الله من مزايا جليلة ، ومن عقل وافر ، ومن حكمة غزيرة . ولا يسعني الا ان اشكر لك من صميم قلبي ذكرك اياي من وقت لآخر وتفضلك بارسال كتبك القيمة التي هي موضوع فرحي وسروري لما احتوته من آيات كفايتك ونبوغك، وبارك الله فيك وفي كل عمل تتولاه ».



كيف تصير خطيباً
من غير معلم

من تأليف

حسن صالح الجداوي

هذا أوّلُ كتابٍ من نوعِهِ ظهر في اللغةِ العربية على نسقٍ علميٍّ سهلِ المأخذ ، حسن التَّبْويب والتقسيم . ضمنهُ المؤلّف زبدةَ الأصول لعلم الخطابة ، قاصداً أن ينتفعَ بارشادهِ وأمثلته طَلبةُ العلم ، وأن يرضى عنه خاصّةُ المتأدّبين على السواء .

وما علمُ الخطابة الا احدى الضروريات للثّقافةِ المصرية ، فلن يستغني عنه أيُّ إنسانٍ يريدأن يخوضَ معتركَ الحياةِ بنجاح وافر ، ولهذا كان موضوع الدرس والتطبيق في معاهد التعليم الاوربية ، كما أنَّ طائفةً من مدارسنا الأهلية الراقية أخذت تُعنى به العناية الواجبة استكمالاً لتهذيب رجال الغد .

والكتاب مطبوعٌ طبعاً حسناً على ورق جيد، وثمن العدد خمسون مليماً واجرة البريد نصف قرش .

***

كتب فضيلةُ الاستاذ العلاَّمة اللغوي الكبير الأب لويس معلوف اليسوعيّ في صحيفة (**البشير**) البيروتية الغراء هذه الكلمة النفيسة تعليقاً على كتاب (**وطن الفراعنة**):

كتابٌ جديدٌ للشاعر المصريّ الرقيق أحمد افندي زكي أبي شادي، له غلافٌ جميلٌ عليه رسومٌ لرموز مصرية قديمة، وهو مطبوع على ورق صقيل بحروف زاهية تقرّ بها العين. ثمنه خمسون مليماً.

أما محتوياتهُ فمنظومات، غاية في الرشاقة، في مواضيع قومية مرتبطة بتاريخ مصر وحياتها الاجتماعية ونهضتها الحديثة من مثل النيل وقناة السويس والأهرام وأبي الهول ووادي الملوك والكرنك وغير ذلك مما لا يخرج عن نطاق مصر وعجائبها المشهورة بثاً لروح القومية في النفوس وحثاً على التعلق بارض الوطن وحب ما فيه من الآثار الجميلة والذكريات الخالدة.

وقد أهدى الاستاذ الشاعرُ كتابه الى الناشئات والناشئين من طلبة المدارس الثانوية كيما يكون لهم خيرَ نصير على اجتناء الفوائد الوطنية والفنية والأدبية.

وهذا الجزء هو الأول من ثلاثة ستظهر على التوالي متدرجة في أساليب الانشاء مع مراعاة الايجاز والسلاسة في التعبير .

فنثني على الناظم كلَّ الثناء ونأمل أن يتحداه أحد شعرائنا المجيدين فيضع لنا كتاباً ينظم فيه القصائد الرائقة في مواضيع وطنية كالارز وبعلبك والمكمل وصنين ووادي قاديشا وشلالي حمانا وجزين وآثار جبيل وصيدا وغير ذلك مما يرتبط بتاريخ لبنان ومشاهده الجميلة الفتانة . وما ذلك على قرائح شعرائنا العديدين السيالة بعسير .



نظرات نقدية
في
شعر أبي شادي

مع تعقيب بقلم الناشر

حسن صالح الجداوي

ليسانسيه في القانون (باريز) ودبلوم تجارة عليا (ليون)
منشىء صحيفة «السويس الناهضة»

« الكتاب درس حديث في
الادب الحديث جدير بالمطالعة
وحقيق بالنظر »

مجلة « الهلال »

ردّدتْ الصُحُفُ نبأ المنحة الكبيرة التي وهبتْها في يونيو سنة ١٩٢٦ م . جامعةُ (لفربول) بانجلترا الى الدكتور نورمان كور كهيل جزاء نبوغه الشعري، وان كان طبيباً معروفاً يمارسُ صناعته بمهارة في مستشفى كبير . ولا شكَّ في أن هذا النبأ لم يكن موضع استغراب

في العالم الاوروبي ، حيث الفاصل بين العلم والأدب يكاد يكون وهمياً غالباً في مجال التأليف العام ، وحيث يكثر النابغون وتتعدّد نواحي نبوغهم ، كما كان الشأنُ بين عظماء العرب في الشرق وفي الاندلس بعُصُور النهضة. ولكن من الجائز أن تعجب لهذا الخبر طائفة بيننا تعوّدت أن ترى الادبَ مهيناً والمتطفلين عليه كثيرين حتى كادت — في أوقات العجز الأدبي — تعدُّ من صفات الأديب أن يكون متشرّداً لا محامد ولا مباديء له . . . !

ولقد دارَ الزمانُ دورتَه فاذا العلم والأدب قرينان ، واذا بنا نرى آية ذلك متجلّية في سطوع نجم أبي شادي وفي ظهور أقرانه في سَماءِ النبوغ ، وفي اتجاه الأدب شطر العلم الحميم ، والفلسفة الرشيدة. وانّ في هذا الكتاب — الجامع لامثلة من نقد شعره — لدروساً بَديعة في فلسفة الشعر ، ومقارنات مفيدة بين قواعد الأمس وحاجات الحاضر وآمال الغد . . . تقرؤه بلذّةٍ عميقةٍ من أوله الى آخره كيفما كانت نزعاتك الخاصة ، لأنهُ محرَّرٌ بأسلوب علمي سليم ، خالٍ من الحشو ومن الألفاظ الجارحة المعيبة ، لا أثر للتعصب به ، فهو معرضُ آراء متنوعة ومساجلة جميلة ، وهو محدّثٌ أمينٌ يقنعك بمحبّة شاعرنا لفنّه وبعده كلَّ البعدِ عن التهوّر

والتعصّب ، وانه من يُعنى بالأساس كما يُعنى بالاصلاح والتجديد تبعاً لمطالب بيئته وعصره . فاذا لم ترضَ عن كلّ أو جل آرائه فلن يفوتك الاعجابُ بغيرته القومية واخلاصه الصميم لخدمة الأدب وحبّهِ للبناء مع الهدم لا الهدمِ وحده ، وهكذا يكون شعار المصلحين وان تباينت نظراتهم الخاصة .



مفخرة رشيد

قصيدة وطنية شائقة للأستاذ الدكتور أبي شادي

مع شروح أدبيـــة وتاريخية

بأقلام نخبة من مشاهير الكتابة

يُروَى عن اللورد كرزون أنَّه قال في موقف المجادلة السياسية لدولة حسين رشدي باشا : « ياباشا ، أنتم تزعمون لأنفسكم حق المحافظة على مواصلاتنا الامبراطورية ، وقد ذهبتُ فيما مضى الى مصر فوجدتُ أبناءكم يُساقون الى التجنيد بين العويل والنديب !. »
فأجابه دولة رشدي باشا بقوله : « يالورد ، إنَّ هؤلاء الشبَّان الذين رأيتَهم يُساقون الى العسكرية بالبكاء والعويل قد زحف بهم جدِّي على أبناء جلدتك ، فألقوهم في البحر وكانوا من المغرقين . . . !! » .

***

وتجدُ سيرةَ هـذه الحماسةِ المصريةِ العظيمةِ مخلَّدةً نَظْماً ونَثراً في كتاب (مفخرة رشيد) الجامع لقصيدةٍ وطنيَّةٍ من ابلغ أمثلة الشعر العصري السليم ، ولطائفة من المقالات الأدبية الشرحية والنقديَّة بأقلام نخبةٍ من مشاهير الادباء ، فاقرأه وأطلِعْ أولادك عليه ، فلا خير في ناشئةٍ تجهل مفاخرَ ماضيها .

تصحيح

خطأ	صفحة	سطر	صواب
عشر	٧٣	٣	عشرة



﴿ فُرغ من طبعه في الثامن والعشرين من اغسطس سنة ١٩٢٦م. ﴾

